وحي الكتاب المقدّس

رؤية مُصْلَحة

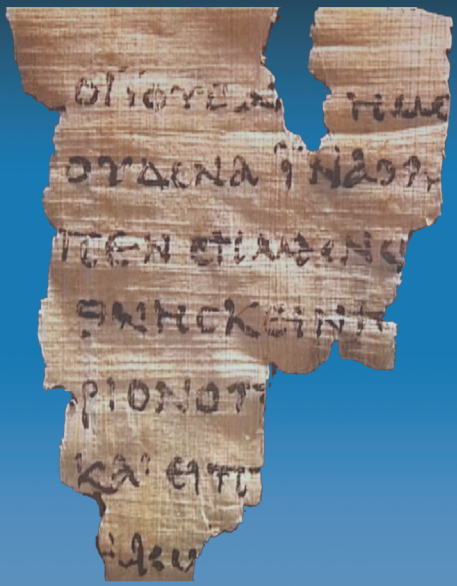

وجيه يوسف

وجيه يوسف

أمين عامّ مركز دراسات مسيحيّة الشّرق الأوسط في كلّيّة اللّاهوت الإنجيليّة بالقاهرة. تخرّج في كلّيّة اللّاهوت الإنجيليّة بالقاهرة، ثمّ حصل على ماچستير الدّراسات اللّاهوتيّة من كلّيّة لاهوت (Westminster) عام 2002، وماچستير في اللّاهوت من كلّيّة لاهوت (Calvin) عام 2004، ودكتوراه الفلسفة في اللّاهوت من جامعة (Birmingham) في المملكة المتّحدة، عام 2013. له بعض المؤلّفات والتّراجم، منها: **البحث الأكاديميّ** (2007)، **معجزة النّعمة** (2009)، **القاموس اللّاهوتيّ** (2009)، **براءة أمْ تبرير** (2013)، **عمّار البصريّ واللّاهوت العربيّ** (2014)، **المسيحيّة العربيّة** (2014)، **الكنيسة في رحاب الإسلام** (2016)، **#رسامة_المرأة** (2016)، **والكرازة بين سيادة الله ومسؤوليّة الإنسان** (2016).

الناشر

الرّابطة الإنجيليّة في الشّرق الأوسط

سلسلة التّراث الإنجيليّ

الرابطة الإنجيلية فى الشرق الأوسط
ميرف
١٩ شارع المسعود العباسية ـ القاهرة

وحي الكتاب المقدّس
رؤية مُصْلَحة

وجيه يوسف

© 2017 جميع حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف. فلا يجوز إعادة إصدار هذا الكتيّب، أو أيّ جزءٍ منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأيّ شكلٍ من الأشكال أو إعادة نشره بأيّة وسيلةٍ بدون إذنٍ مكتوبٍ من المؤلّف.

طُبِعَ في مصر
الناشر: الرّابطة الإنجيليّة بالشّرق الأوسط ت: ٠٨٠٠٤٨٤٨

يوسف، وجيه، **وحي الكتاب المقدّس: رؤية مُصْلَحة**
2017/3281
الفكر المُصْلَح؛ العقيدة المُصْلَحة، الوحي
225.2

سپاركل لحلول الطّباعة: 01282117812
www.sparkleegypt.net

"Πᾶσα γραφὴ θεόπνευστος..."
(2 Τιμόθεο 3:16)

الفهرست

تقديم	7
مقدّمة	9
ما هو الوحي؟	14
نظريّات مختلفة في عقيدة الوحي	26
الوحي الطّبيعيّ	26
الوحي الإملائيّ	30
الوحي الجزئيّ	31
الوحي في الفكر المُصْلَح	32
المسيح والكتاب المقدّس	41
عصمة الكتاب المقدّس	43
المعنى واللّفظ	46
شموليّة الوحي	47
الدّليل الكتابيّ	52
الدّليل التّاريخيّ	56
عقيدة الوحي في إقرارات الإيمان المُصْلَحة	60
اعتراضات على عقيدة الوحي الكلّيّ	67
والآن...	84
المراجع	87
ملحق	95

تقديم

عبر مئات السّنين، تعرّض مضمون الكتاب المقدّس المسجّل في ستٍّ وستّين جزءًا للكثير من التّحليل والتّفنيد، لا بل والنّقد والتّشكيك. وكانت حملات كثيرة موجّهة ضدّه بشكلٍ مُغرضٍ وغير علميّ، وبعضها كان يحمل عداءً دينيًّا متعصّبًا. ولكنّ النّتيجة، في النّهاية، أكّدت مرّةً تلو الأخرى بأنّ سجلّات الوحي الكريم في الكتاب المقدّس حصينةٌ في عصمتها وتناسقها وأمانتها وفائدتها المناسبة لكلّ القرائن الحضاريّة والاجتماعيّة.

في صفحات هذا العمل الموجز، يجد القارئ، الذي يسعى بإخلاصٍ وجديّة لمعرفة الحقّ، دراسةً أكاديميّةً عن وحي الكتاب المقدّس. الزّميل والصّديق الدّكتور القسّ وجيه يوسف، أثبت من جديدٍ أنّه يتمتّع بموهبةٍ نادرةٍ تمكّنه من عرض الأمور الصّعبة بشكلٍ سهل الفهم، شامل المضمون—دون التّضحية بالأسلوب الموضعيّ والعلميّ للبحث الأكاديميّ. إنّنا على ثقةٍ بحاجة الكثيرين في وطننا العربيّ لهذه الدّراسة المهمّة.

القسّ / ڤيكتور عطاالله
المدير العامّ / المؤسّس
الرّابطة الإنجيليّة في الشّرق الأوسط (ميرف)

مقدّمة

"هكذا قال الرّبّ..." تصريحٌ يقابلنا مرّات كثيرة في الكتاب المقدّس. ونقفُ أمامه بهيبةٍ عارفين أنّ الله يتحدّث إلينا. وحين يتحدّث الله، يلزم أن نلتفت لكلماته، مستمعين لصوته. ولكن كيف لنا أن نفهم هذا التّصريح؟ وما معنى أنّ الله يتكلّم إلينا في الكتاب المقدّس؟ وكيف لكتابٍ أصلًا أن يكون "كلمة الله"؟ ليس المقصود الآن أن نبدأ في مناقشة كيف وصل إلينا الكتاب المقدّس، فليس موضوعُنا مناقشة مخطوطات الكتاب المقدّس ولا ترجماته. بل نتحدّث في هذه الدّراسة القصيرة عن قضيّة مهمّة جدًّا، للإيمان والأعمال، ألا وهي "وحي الكتاب المقدّس." ولكن لماذا هذه الدّراسة؟ ألا يتّفق كلُّ المسيحيّين على هذه الحقيقة؟ الكلّ يؤمن بأنّ الله—جلّ ثناؤه—هو مَنْ أعطى كلمَته للإنسان (العنصر البشريّ) لتُدوّن وتكون نبراسًا للبشر؟ فما هي الحاجة إلى مثل هذه الدّراسة؟

في الواقع، لا يرى كلُّ المسيحيّين أمر وحي الكتاب المقدّس من نفس المنظور! ولأنّ نظرتنا لوحي الكتاب المقدّس لها تطبيقات ومضامين مهمّة، منها ما هو عمليّ ومنها ما هو لاهوتيّ، يلزم أن نوضّح الموقف اللّاهوتيّ الذي تبنّاه لاهوتيّون مُصْلَحون، اعتمادًا على دراسات لاهوتيّة وتاريخيّة. إذن، لا تُعنى هذه الدّراسة

بعرض وجهات نظر لاهوتيّة غير مُصْلَحة، تتبنّاها طوائف مسيحيّة هنا أو هناك. بل هدفنُا الأوّل والأخير هو تقديم دراسة مختصرة عن موضوع وحي الكتاب المقدّس من منظورٍ مُصْلَحٍ. ولن تتعرّض الدّراسة لما يُساق من اعتراضات على دقّة الكتاب المقدّس من الوجهة التّاريخيّة أو العلميّة، أو مزاعم بوجود تناقضات أو "أخطاء." لقد وضع كثيرون مؤلّفات أكاديميّة رائعة تتناول هذه المزاعم، وتفنّدها.[1]

---

[1] انظر على سبيل المثال، لا الحصر: عبد النور، منيس. **شبهات وهميّة حول الكتاب المقدّس**. القاهرة الكنيسة الإنجيليّة بقصر الدّوبارة، 1992.

Archer, Gleason L. *Encyclopedia of Bible Difficulties*. Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1982; *New International Encyclopedia of Bible Difficulties: Based on the NIV and the NASB*. Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1998; Arndt, William F., Robert G. Hoerber, Walter R. Roehrs, William F. Arndt, and William F. Arndt. *Bible Difficulties and Seeming Contradictions*. St. Louis: Concordia Publishing House, 1987; Bruce, F. F. *The Hard Sayings of Jesus*. Downers Grove, Ill: InterVarsity Press, 1983; Davids, Peter H. *More Hard Sayings of the New Testament*. Downers Grove, Ill: InterVarsity Press, 1991; DeHoff, George Washington. *Alleged Bible Contradictions Explained*. Murfreesboro, Tenn: De Hoff Publications, 1950; Geisler, Norman L., and Thomas A. Howe. *The Big Book of Bible Difficulties*. Grand Rapids: Baker Books, 2008; Guillebaud, Harold E. *Some Moral Difficulties of the Bible*. London: InterVarsity Fellowship of Evangelical Unions, 1941; Kaiser, Walter C. *Hard Sayings of the Bible*. Downers Grove, Ill: InterVarsity Press, 1996; *Hard Sayings of the Old Testament*. Downers Grove, Ill: InterVarsity Press, 1988; *More Hard Sayings of the Old Testament*. Downers Grove, Ill: InterVarsity Press, 1992.

ولربّما يسأل البعض عن السّبب في إثارة هذه القضيّة، قائلين: "أَلَيْس موقف الكنيسة الإنجيليّة "المشيخيّة" في مصر موقفًا مُصْلَحًا؟" نعم، هو موقف مُصْلَح بامتيازٍ. ولكن لأسبابٍ عديدةٍ، جهل النّاس بهذا الموقف وتباعدت صياغات إيمانيّة علّمت بها الكنيسة الإنجيليّة عن أذهان الكثيرين من أعضاء الكنيسة بل والقسوس أيضًا. إنّ قراءة المادة الواردة في إقرار الكنيسة الإنجيليّة في مصر (مادة 3) لهي أدلُّ دليلٍ على ذلك. تقول المادة: "نؤمن بأنّ الكتب المقدّسة أي كتب العهد القديم والعهد الجديد هي كلمة الله، وكلّها موحى بها، لفظًا ومعنًى، وأنّ كتبها وهم مسوقون بالرّوح القدس كتبوا بمقتضى نواميس العقل البشريّ، وأنّها نصٌّ مؤتمنٌ للإعلان الذي أعلنه الله عن ذاته بمقتضى نعمته، وهي تشهد للمسيح، وأنّها قانون معصوم للإيمان والأعمال، والمرجع الأعلى ذو السّلطان للحقّ الإلهيّ الرّوحيّ." إنّ ردّة الفعل الأولى عند الكثيرين ممَنْ يقرؤون هذه الصّياغة هي الرّفض المتبوع، دائمًا، بتصريحٍ شديدِ اللّهجة: "إحنا مش بنؤمن بالوحي القرآنيّ." تَرَادَفَ في ذهن الكثيرين ما تُعلّم به الكنيسةُ في إقرار إيمانها بالوحي القرآنيّ، في الفكر الإسلاميّ. ولكن هل يتشابه الأمران، فعلًا؟ وهل تنادي الكنيسة بنظريةٍ في وحي الكتاب المقدّس تشبه ما يعلّم به المسلمون بشأن وحي القرآن الكريم؟ الحقيقةُ هي أنّ السّياق العربيّ، المتلّون في معظمه بمعطيات من

الفكر الإسلاميّ، ترك عظيمَ الأثرِ في طريقة فهم العرب المسيحيّين لعقائد وتعاليم إنجيليّة مهمّة. عقيدةُ الوحي هي أحد استعلانات هذا التّأثّرِ. ولكن ما معنى ذلك؟

وجدت الكنيسةُ العربيّةُ نفسها مُحاطةً بالعديد من العقائد التي ينادي بها الإسلام والتي يشترك فيها، على الأقلّ في الاسم، مع تلك الموجودة في الفكر المسيحيّ. وحيث إنّ عددًا من المسيحيّين، سواء بعلمٍ أو بجهلٍ، أرادوا أن يميّزوا بين المسيحيّة والإسلام، في عددٍ من العقائد، فقد أخذوا يتناولون العقائد المشتركة بين الدّيانتَين بطريقةٍ "متضادةٍ." فلا بدّ، كما يرون، وأن تختلف نظرة المسيحيّة عن نظرة الإسلام في عددٍ من العقائد.

ولا شكّ عندي في أنّ بعض الإنجيليّين العرب حين يتحدّثون عن الوحي، بحسب الفكر المُصْلَح، ينطلقون من تقديرٍ عالٍ لكلمة الله. فليس الفكرُ اللّيبراليّ نقطةَ انطلاقهم. ولكنّهم لا يدرون أنّ الصّياغات التي يقدّمونها لا تعبّر عن الموقف الأرثوذكسيّ التّاريخيّ للفكر المُصْلَح، بل في الواقع هي مجرّد اجتهادات لاهوتيّة غير متّسقة مع معطيات أخرى في الفكر المُصْلَح؛ وفي أحسن حالاتها، تعبّر عن مزجٍ ممسوخٍ بين مواقف لاهوتيّةٍ مختلفةٍ.

علينا أن ننتبه إلى أمرٍ هامٍ، فليس كلُّ اعتقادٍ بوحي الكتاب المقدّس يفي الكتاب حقَّه من الإكرام والتّبجيل، ككلمة

الله. ويظهر هذا واضحًا في قضيّة عصمة الكتاب المقدّس، التي لا تتأتّى، ولا يُتَمَسّكُ بها، ولا تستقيم، ولا يمكن أن تُتَصوّر إلّا من خلال الإيمان بعقيدةٍ واضحة بشأن الوحي المقدّس.

إنّ موقفَنَا من عقيدة الوحي يحدّد نوع المسيحيّة التي ننادي بها، ونعتقدها، ونسلك بموجبها. إنّ مَنْ يرؤن الكتاب المقدّس على أنّه مجموعة مؤلّفات دينيّة قيّمة، وضعتها مجموعةٌ قديمةٌ من الكتّاب الملهمين، الذين لم تكن لنصوصهم عصمةٌ إلهيّةٌ، حيث كانت مجرّد مشاركة ببعض ما علّموه وتعلّموه من خبرات دينيّة، ستكون "مسيحيّتُهم" مختلفةً جدًّا عن إيمان أولئك الذين يؤمنون بأنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله الموحى بها وحيًّا كلّيًّا (لفظًا ومعنًى)، وأنّها معصومةٌ في كلّ ما تكلّمت عنه.[2] ويترتّب على ذلك أنّه حتّى الخلافات اللّاهوتيّة، وما يشبهها من مسائل دينيّة، تُحسم باللّجوء إلى الكتاب المقدّس، الذي هو المرجع الرّئيس في كلّ قضايا المسيحيّة—فليس مرجعنا الكنيسة "غير المعصومة" ولا البابا ولا أيّة سلطة دينيّة، بل الكتاب المقدّس، كلمة الله المعصومة.[3] أَوَلَيْست هذه هي كلمات مارتن لوثر التّاريخيّة: "إن لم أكن مقتنعًا ببرهانٍ من الكتاب المقدّس والعقل البحت—فأنا لا أقبل سلطة البابا ولا المجامع؛ لأنّهم كثيرًا ما

[2] Loraine Boettner, *Studies in Theology* (Grand Rapids: Eerdmans, 1947), 9.

[3] Ibid.

ناقضـــوا أنفســـهم. إنّ ضـــميري أســـيرٌ لكلمة الله. لا أقدر، ولن أســـتطيع أن أتراجع عمّا كتبت؛ لأنّه ليس صـــائبًا أو مأمونًا أن يغـالطَ المرءُ ضـــميرَه. هـذا مبـدأي. ولن أســـتطيع أن أغيّـــره. فليســـاعدني الله." ولكن ما هو المفهوم المُصْـلَح في عقيدة الوحي؟ قبل أن نجيب على هذا السّؤال، نقدّم الآن تعريفات لكلمة الوحي.

ما هو الوحي؟

في الفكر المُصْـلَح، عندما تُذكر عقيدة الوحي دائمًا ما تتمّ الإشـارة إلى عمل الرّوح المعجزيّ، الفائق للطّبيعة، الذي قاد وحمل وأرشـد الكتّاب، أناس الله القدّيســين، لتدوين ما قصــد الله أن يُعرّفه للإنســـان. هـذا النّشـــاط (العمل) الإلهيّ، في عمليّة الوحي، هو مصـدر سـلطة الكتاب المقدّس، وأسـاس مصـداقيته، وسـبب وجوب خضوعنا لتعاليمه.[4] هذا ليس كتابًا بشـريًّا، كتبه أناسُ الله القدّيســـون. بل كتبه أناسُ الله القدّيســـون "مســـوقين" بالرّوح القدس. هـذا مـا يُعرف في الفكر المُصْـلَح بعقيـدة الوحي الكلّيّ أو الوحي اللّفظيّ أو الوحي الحرفيّ.[5] وقبـل أن نناقش هـذا الموقف اللّاهوتيّ، بـأكثـــر تفصـــيلًا، علينـا أن نقف على المعنى اللُغويّ

[4] A. A. Hodge, *Evangelical Theology* (Edinburgh: The Banner of Truth Trust, 1990), 81.

[5] Ibid, 10.

لكلمتَين يونانيتَين هامّتَين وردتا في نصّـين من نصـوص الإنجيل (العهد الجديد): "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى (Θεόπνευστος) بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ" (2 تيم 3: 16)؛ "لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ (Φερόμενοι) مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (2 بط 1: 21).

"موحى به Θεόπνευστος"

هذا تعبيرٌ غاية في الأهمّيّة، ولن نقف على فهمٍ دقيقٍ لعقيدة الوحي إلّا بعد دراسته وفهمه فهمًا صحيحًا.[6] وربّما كان ينبغي أن نجد في اللّغة العربيّة مرادفًا أمينًا لهذا التّعبير غير كلمة "وحي." فالمعنى الحرفيّ لهذا التّعبير هو (God-breathed)، أي "تنفّسات الله."[7] هذه الكلمة مكوّنة من مقطعَين: الجزء الأوّل هو (Θεὸς) وهذا هو لفظ الجلالة في اللّغة اليونانيّة؛ الجزء الثّاني هو (Πνεῦμα) والتي تعني "روح، نَفَسٌ، ريح." وتشير هذه الكلمة أيضًا إلى النَفَسِ الدّاخل والخارج من الإنسان (الشّهيق والزّفير). وتشير مرّاتٍ أخرى إلى الحياة، فنَفَسُ الإنسان هو حياتُه. وتستخدم في كتابات شعريّة

[6] G. C. Berkouwer, *Holy Scripture* (Grand Rapids: W.B. Eerdmans Pub. Co, 1975), 140.

[7] J. I. Packer, *Concise Theology* (Wheaton: Tyndale House Publishers, Inc. 1993), 4.

لتصف الصّوت الذي يحدثه لعبُ الإنسان على آلة الفلوت. وقد ترجمت السّبعينيّة (LXX) كلمتي (نَفَس، وروح) بهذه الكلمة اليونانيّة.[8] بهذا المعنى، يصبح الكتاب المقدّس كلمات الله التي تنفسها.

ويشير إدوارد يونج، اللّاهوتيّ الشّهير، وعالم دراسات العهد القديم المعروف، إلى أنّ معظم التّركيبات اللّغويّة اليونانيّة التي تتشابه مع مصطلح Θεόπνευστος كمصطلحات: Θεοδίδακτοί, Θεογνωστος, Θεοδοτος, Θεοκινήτος, Θεοπεμπτος تأتي بصيغة المبني للمجهول. ويؤّيده في هذا الطّرح هيرمان باڤنيك (1854م-1921م).[9] لننظر إلى قول الرّسول بولس في رسالته الأولى إلى تسالونيكي 4: 9: "وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الأَخَوِيَّةُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مُتَعَلِّمُونَ (Θεοδίδακτοί) مِنَ اللهِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا." وبالقياس، يقترح يونج أن تترجم كلمة Θεόπνευστος "نُفِخَت من الله."[10] يؤكّد هذا التّعبير على حقيقة أنّ الكتاب المقدّس جديرٌ بالتّصديق

---

[8] Kittel, Gerhard, Gerhard Friedrich, and Geoffrey William Bromiley. *Theological Dictionary of the New Testament,* (Grand Rapids, Mich: W.B. Eerdmans, 1985), 876-895.

[9] Herman Bavinck, *Reformed Dogmatics: Prolegomena*, vol. 1, trans. John Vriend (Grand Rapids: Baker Academics, 2003), 425.

[10] إدوارد يونج، **أصالة الكتاب المقدّس**، ترجمة إلياس مقار (القاهرة: دار الثّقافة، 1990)، 27.

بالنّظر إلى مصدره الإلهيّ.[11] كما أنّه يشير على تلك العلاقة الجوهريّة بين عمل روح الله وبين النّصّ المكتوب في المخطوطات الأصليّة.[12] بالإيجاز، يمكن أن نقول إنّ هذا التّعبير لا يتحدّث بالضّرورة عن "الكيفيّة" التي وصل إلينا بها الوحي، التي هي متعدّدة ومعجزيّة، بل التّأكيد في هذا المصطلح هو على أنّ "الأصل" (*ultimate origin*) في الوحي هو الله نفسه، الذي "زَفَرَ" هذا النّصّ.[13] وهذا ما يطرحه سينكلير فيرجسون في قوله "إنّ التّركيز موضوعٌ هنا لا على الكيفيّة التي أُوحي بها الكتاب المقدّس، بل على مصدره الإلهيّ."[14] "فالكتاب المقدّس ليس "إنتاج عبقريّة بولس، ولا شاعريّة داود، وبساطة عاموس. الكتاب المقدّس هو إنتاج الله، قبل كلّ شيء،"[15] مع كلّ التّقدير لعقليّة بولس المنطقيّة، وشاعريّة داود، وبساطة عاموس. يرى كالڤن أنّ الرّوح القدس سمح أن

---

[11] G. C. Berkouwer, 140.

[12] Ibid.

[13] R. C. Sproul, "Inspiration and Authority of Scriptures," Youtube Video, 9th of Sep. 2012, accessed 9th of Sep. 2016, available at:
https://www.youtube.com/watch?v=IDCc9YbYufQ

[14] Sinclair Ferguson, "How does the Bible Look at Itself?" in *Inerrancy and Hermeneutic*, ed. Harvie Conn (Grand Rapids: Baker Book House, 1988), 55.

[15] ماهر صموئيل، "وحي الكتاب المقدّس" ج. 1، YouTube Video، 27 يونيو 2012، تمّ الاطّلاع عليه يوم 19 ديسمبر 2016، متاح على:
https://www.youtube.com/watch?v=9G2s2CKtlyo

يكتب بعض الأنبياء بأسلوب شائق ورائع وجذّاب، كذلك نرى البعض الآخر يكتب بطريقة بسيطة عاديّة، كإرمياء أو عاموس.[16] لقد استخدم الله في كتابه للإنسان أساليب مختلفة، تعبّر كلٌ منها عن شخصيّة المؤلف، فاستخدم "علم موسى، وشاعرية إشعياء، وسذاجة عاموس، وحكمة سليمان، وفلسفة بولس، وتصوّف يوحنّا، وبساطة بطرس، فانطبعت شخصيّة كلّ كاتب على كتاباته، لكنّ روح الله كان يسوق الجميع فيما كتبوا."[17]

يجب أن يكون واضحًا لنا، كما يحاجّ چـــون ستوت، في معرض حديثه عن هذا التّعبير المهمّ، أنّ هذه الكلمة اليونانيّة لا تعني أنّ الله—تبارك اســمه—نفخ في عقول الكتّاب البشــريّين حتّى ما يكتبوا لنا حقًّا إلهيًّا، باستنارةٍ روحيّةٍ حصلوا عليها؛ كذلك فليس المقصــود هو أنّه نفخ فحوّل "نثرهم" إلى "شــعرٍ إلهيٍّ." بل المعنى الدّقيق لهذا المصــطلح هو أنّ ما زَفَرَه الله، كتبوه.[18] الكتاب المقدّس، إذن، ليس كتابًا بشــريًّا تألّه، بل هو كتاب إلهيٌّ-المصــدر، زفره الله، ليصــل للإنســان، عن طريق أناس الله القدّيســين. وهذا يأخذنا لدراسة الكلمة (التّعبير) الثّاني: "مسوقين."

---

[16] چون كالفن، **المسيحيّة الكتابيّة**، ترجمة عبد الكريم كيرلس (القاهرة: الرّابطة الإنجيليّة في الشّرق الأوسط، 1994)، 45.

[17] إبراهيم سعيد، **لماذا أؤمن؟** (القاهرة: دار الثّقافة، 1989)، 5.

[18] John Stott, *Authentic Christianity*, ed. Timothy Dudley-Smiths (Downers Grove, Ill: InterVarsity Press, 1995), 92.

"مسوقين Φερόμενοι"

تأتي الكلمة اليونانيّة المترجمة "مسوقين" (Φερόμενοι)، من الفعل اليونانيّ (Φερό) بمعنى: "يحمل، يقدّم، يرفع، يسوق، ينقل." ومن هذه الكلمة جاءتنا إلى القبطيّة، ومن ثمّ إلى اللّغة العربيّة، كلمة "أنافورا" (Ἀναφορά). وكانت تصف صعود الطّير وارتفاعه إلى السّماء. ومن المعروف أنّ هذا المصطلح يشير إلى تقدمة القدّاس الإلهيّ، عند بعض الكنائس التّقليديّة. وفي الاستخدام الأدبيّ لهذا الفعل، نجد معنى "يقود، يذهب، يستحضر، يكشف، يعلن، أو يصدر (شكوى مثلًا)." وقد استخدمت التّرجمة السّبعينيّة هذا الفعل بمعنى "يقدّم تقدمةً" أو "يحمل حملًا." أمّا الأديب والمؤرخ اليهوديّ يوسيفوس فلافيوس (يوسف بن ماتيتياهو)، الذي عاش في القرن الأوّل للميلاد، فقد استخدم الكلمة بمعنى "يحمل، يكون مُقَادًا، يصير مَحمولًا." وفي نصوص أخرى في العهد الجديد، نجد هذا الفعل مستخدمًا بمعنى "الحمل والتّقديم." نقرأ مثلًا في الإنجيل بحسب مرقس 1: 32 "قَدَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السَّقَمَاءِ وَالْمَجَانِينَ؛" وفي نفس البشارة 2: 3، يقول الإنجيل المقدّس: "وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجًا يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ." وفي حديث الرّبّ يسوع مع بطرس، في البشارة بحسب يوحنّا 21: 18، يقول الرّبّ: "اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلكِنْ مَتَى شِخْتَ

فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ، وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ." نجد أيضًا نفس المعنى السّلبيّ للحمل (أي أنْ يصير المرءُ مَحمولًا) في سفر الأعمال، في الحديث عن السّفينة التي كادت أن تغرق بسبب العاصفة التي حملتها. نقرأ: "فَلَمَّا خُطِفَتِ السَّفِينَةُ وَلَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُقَابِلَ الرِّيحَ، سَلَّمْنَا، فَصِرْنَا نُحْمَلُ....وَهكَذَا كَانُوا يُحْمَلُونَ" (أع 27: 15-17). وفي النّصّ محلّ الدّراسة، 2 بطرس 1: 21، يتحدّث الرّسول بطرس عن أناس الله القدّيسين الذين كانوا "مسوقين، محمولين، مدفوعين، منساقين" بالرّوح القدس أثناء عمليّة الوحي. جديرٌ بالذّكر أيضًا أنّ عددًا من آباء الكنيسة استخدموا هذا الفعل بنفس المعنى سالف الذّكر.[19]

ويلاحظ إدوارد يونج: "في الواقع إنّها لغة مثيرة إذ يوصف النّاس الذين تكلّموا من عند الله بالقول إنّهم محمولون بالرّوح القدس، أي أنّ الرّوح القدس حملهم، ومن ثمّ تكلّموا. لقد حُمِلوا بقوّة الرّوح القدس، وليس بقوّة خاصّة بهم. إذا التقط شخصٌ شيئًا وحمله، فإنّه يفعل ذلك بقوّته هو، ويبقى المُلتَقطُ أو المَحمولُ مع ذلك ساكنًا تمامًا. هكذا كان الكتّاب الذين كتبوا الوحي الإلهيّ. لقد حملهم الله بروحه. وكان هو المحرّك وهم السّاكنون، ومن عنده تكلّموا بكلامه. لقد حملهم إلى الهدف الذي

[19] Kittel, 1252-1253.

كان يريده ويقصـــده."[20] يمكن أن نســـتنتج بثقةٍ كاملةٍ، بناءً على معنى هذه الكلمة، أنّ الرّوح القدس "سيطر" على الكتّاب ليمكّنهم من اختيار كلمات معيّنة، وليس أيّة كلمات يستحسنوها من بنات أفكارهم.[21] فما يعلّمه الكتاب المقدّس ليس أقوالًا لقدامى النّاس من الحكماء والفهماء والعلماء، بل هو، وبدون شـــكٍّ، كلمة الله، تنفّساته، التي حمل أناس الله القدّيسين ليكتبوها لنا.[22]

نؤكّد ثانيةً أنّ المقصـــود بهذه الآية ليس إنكار الدّور البشـــريّ للكاتب الموحى إليه، بل التّأكيد على أنّ "المصـــدر الأخير لكلّ نبوءة في نهاية المطاف لم يكن على الاطلاق قرار الإنسان حول ما يشـــاء كتابته، بل بعمل الرّوح القدس في حياة النّبي، وذلك بموجب طرق غير محدّدة هنا (أو في الواقع، في أيّ مكان آخر من الكتاب المقدّس). هذا يؤدي إلى الاعتقاد بأنّ كلّ نبوءات العهد القديم (وفي ضـــوء الآيتين 19 و20، قد يشـــمل هذا أيضًـــا جميع كتابات العهد القديم) قد نطق بها الله، بمعنى أنّها كلمات الله نفســـه."[23] وهذا ما يؤكّده إدوارد يونج، ســـريعًا، بالقول: "لعلّه من

---

[20] إدوارد يونج، 33.

[21] Stewart Custer, *Does Inspiration Demand Inerrancy?: A Study of the Biblical Doctrine of Inspiration in the Light of Inerrancy* (Nutley, N.J.: Craig Press, 1968), 55-56.

[22] G. C. Berkouwer, 142-143.

[23] واين جرودم، **بماذا يفكّر الإنجيليّون**، 1 (القاهرة: مطبوعات إيجلز، 2002)، 59.

الواجب أن نصحّح هنا أمرًا هامًّا، قد يساءُ فهمُه، إذ قد يتصوّر البعض أنّه مادام الكتّاب البشريّون للكتب المقدّسة كانوا تحت تأثير روح الله وسلطانه، فإنّهم لم يكونوا أكثر من أدوات آليّة ساكنة تحت سلطان مَنْ يتكلّم فيهم، ولم يفعلوا أكثر من ترديد الرّسالة التي أعطيت لهم. أمّا ملكاتهم البشريّة فكانت عاطلة إلى الدّرجة التي لم يزيدوا فيها عن الآلات المُسجّلة. هذا هو في أغلب الظّنّ ما يدفع الكثيرين لرفض مصطلح "الوحي اللّفظيّ الحرفيّ."[24] ونسمع صرخات محتجّة تقول: "لسنا نريد نظريّة آليّة إملائيّة عن الوحي." [لم يكن الكتّاب البشريّون] مجرد آلات مُسجلة، بل بالعكس من ذلك، فقد كانوا أناسًا ذوي ملكات ووزنات استخدمها الله في كتابة الكتاب."[25]

وللتّأكيد على هذا الفكر، يجدر بنا أن نلتفت إلى ما قاله اللّاهوتيّ الهولنديّ المُصْلَح الشّهير هيرمان باڤينك: "إلّا أنّنا نسيء فهم الكتب المقدّسة تمامًا لو استنتجنا...أنّ الأنبياء والرّسل كانوا مجرّد وسائل سلبيّة، توقّف نشاطهم الذّهنيّ والإراديّ، وكانوا في يد الرّوح القدس وكأنّهم بوق للتّخاطب."[26] هذه ليست عقيدتُنا،

---

[24] Archibald Hodge, and Benjamin B. Warfield, *Inspiration* (Grand Rapids: Baker Book House, 1979), 18.

[25] إدوارد يونج، 34.

[26] هيرمان باڤينك، **بين العقل والإيمان**، ج. 1، ترجمة عبد المسيح اسطفانوس (بيروت: مطبوعات الشّرق الأوسط، 1990)، 144.

ولا أعرف بين كلّ الطّوائف المسيحيّة بما فيها الطّوائف التي تتبنّى فكرًا "أصوليًّا" في عقيدة الوحي مَنْ يقول بمثل هذا القول. من المعروف أنّه حتّى كتابات "**الأساسيّات** *Fundamentals*"[27] وقفت ضدّ هذا الفهم الخاطئ لعقيدة الوحي.[28] هذه تهمةٌ وشبهةٌ أُلْصِقت بالفكر المُصْلَح، لم يقل بها أيُّ قائلٍ، ولم يعلّم بها أيُّ معلّمٍ البتّة![29] النّظرية الاملائيّة ليست وحيًا بالمرّة. فليس الكتّاب "ماكينات" دونت كلمة الله للإنسان.[30]

حريٌّ بنا، في معرض هذه المناقشة، أن نذكر أنّ المُصْلِح الإنجيليّ چون كالڤن استخدم تعبير (*amanuenses*) في معرض حديثه عن الكتّاب البشريّين. يمكن أن تترجم هذه الكلمة "كاتب؛ كاتب املاء؛ ناسخ أمين سر." لقد استخدم بعض النّقاد هذا التّعبير ليتحدّثوا سلبًا ضدّ عقيدة الوحي الكلّيّ.[31] ومعروفٌ أنّ مَنْ يقرأ بقيّة كتابات كالڤن يدرك أنّه لم يعّلم بعقيدة الوحي الإملائيّ،

---

[27] هي كتابات لاهوتيّة محافظة موضوعة كردّة فعل ضدّ اللّاهوت اللّيبراليّ في قرينة أمريكا الشّماليّة، في مطلع القرن العشرين (حوالي عام 1910م). تحتوي الوثيقة على 90 مقالًا لاهوتيًّا، مطبوعةً في 12 مجلّدًا. يمكن الاطّلاع على بعضها على:

https://archive.org/details/fundamentalstest17chic

[28] René Pache, *The Inspiration and Authority of Scripture*, trans. Helen Needham (Chicago: Moody Press, 1969), 69.

[29] Loraine Boettner, 23.

[30] R. C. Sproul, "Inspiration and Authority of Scriptures."

[31] Ibid.

أبـدًا.[32] لقـد كان الكتّـاب بشــرًا من لحمٍ ومن دمٍ، لهم ثقـافتهم المتعدّدة، وعاشوا في سياقات مختلفة. ولهذا يؤكّد باڤــينك وغيرُه من ممثّلي الفكر المُصْــلَح أنّ الله "يكرم" خليقته ولا يتعامل معها كأنّها غير عاقلة.[33] ويقولها صراحةً: "الرّوح القدس يعارض بوضوح أيّة فكرة آليّة عن الوحي. فمع أنّ الرّوح القدس كان "يســوق" أو "يدفع" الأنبياء إلّا أنّهم هم أنفسُــهم أيضًــا تكلّموا (2 بط 1: 21) ويشـار مرارًا وتكرارًا إلى الكلمات التي دوّنوها بأنّها كلماتهم (مت 22: 43، 45؛ يو 1: 23، 5: 46؛ رو 10: 20 وما أشــبه). ونقرأ في أماكن كثيرة أنّهم هُيئوا لهذه الوظيفة، وتمّ تخصـيصـهم وتأهيلهم لها (إر 1: 5؛ أع 7: 22؛ غل 1: 15). وهم يحتفظون بوعيهم الكامل ســواء حيـــن يتلقّون الكلمة أو حين يقومون بتدوين الإعلان الإلهيّ."[34] الكتاب المقدّس كتابٌ فريدٌ بكلّ المقاييس، فهو كتاب له ســلطة لأنّه إلهيُّ-المصــدر؛ وهو كتابٌ واضــحٌ ومفهومٌ لأنّه مكتوب بلغةٍ بشريّةٍ.[35] لقد دافع كثيرٌ من اللّاهوتيّين المُصْلَحين عن هذا الفكر، حتّى إنّ لويس بيركهوف نفسه يعارض استخدام كالــڤــن لكلمة (*amanuenses*)، مُبعدًا التّهمة عن الفكر المُصْـلَح، ومؤكّدًا في الوقت ذاته أنّ الرّوح القدس لم يلغ شـخصــيّة الكاتب البشــريّ. يقول

---

[32] ماهر صموئيل، "وحي الكتاب المقدّس."

[33] هيرمان باڤينك 144.

[34] المرجع السّابق.

[35] Stewart Custer, 85.

بيـــركهوف: "لم يكن الكتّـاب البشـريّون مجرّد آلات، ولا حتّى (*amanuenses*). فلم يحـدّ الرّوح القـدس من حرّيـاتهم، ولم يلغ من شخصيّاتهم."[36] كذلك يقول اللّاهوتيّ چـون فريم، مؤكّدًا على أنّ الأجزاء التي نرى فيها المؤلّف البشريّ يستقبل إملاءً مباشرًا من الله هي جدُّ قليلة (خر 34: 27؛ إر 36: 4؛ رؤ 2-3). لقد اسـتخدم الله ملكات الكتّاب في عمليّة الكتابة.[37]

إذن، هـذه هي المعـاني اليونـانيّة لكلمتين من أهمّ كلمـات الإنجيل (العهد الجديد). ولكن ربّ سـائلٍ يقول: "ولماذا لا نعتمد على اللّغـة العربيّة، بـدلًا من اللّغـة اليونـانيّة، في تعريفنـا لعقيـدة الوحي؟" بالحقّ، اللّغة العربيّة لغتُنا، نحن نعتزّ بها، ونقدّم عبادتنا لله بهـا. ولكن اللّغـة العربيّـة لا يجـب أن تكون محـدّدةً لمفـاهيم لاهوتيّـة مبنيّـة على معـاني حرفيّـة لكلمـات وردت في الكتـاب المقدّس—في لغاته الأصـليّة. فإنْ أردنا الوقوف على معنى دقيق لكلمـة لاهوتيّة محوريّة في التّوراة، فلا علينـا إلّا اللّجوء إلى اللّغـة العبريّة، لغـة العهـد القـديم. وبالمثل، فإنْ أردنا أن نحـاجّ، بنـاءً على معنى لُغويّ، لكلمـة من كلمـات الإنجيـل فليس أمـامنـا إلّا اللّغـة اليونـانيّة. وبالتّالي، فَقَوْلُ ابن منظور في **لســان العرب** إنّ الوحي

[36] Louis Berkhof, *Principles of Biblical Interpretation: Sacred Hermeneutics* (Grand Rapids: Baker Book House, 1950), 47.

[37] John Frame, *Systematic Theology* (Phillipsburg: Presbyterian and Reformed Publishing, 2013), 595.

هو: "الإشـــارة والكتابة والرّســـالة والإلهام والكلام الخفيّ وكلّ ما ألقيته إلى غيرك" تعريف جيّد؛ ولكن يجب أن نؤكّد مرارًا وتكرارًا أنّـه تعريف "لُغويّ عربيّ" لا "لُغويّ يونـانيّ." أمّـا التّعبيـــران: "مسوقيـــن Φερόμενοι، و"موحى به Θεόπνευστος" فأصلهما يونانيّ، لا عربيّ. واعتمادُنا على معانيهما في لغتهما الأصـليّة، لا في اللّغة العربيّة، ولا أيّة لغة أخرى. هذا يقودنا إلى المفهوم المُصـلَح بشأن عقيدة الوحي.

نظريّات مختلفة في عقيدة الوحي

الوحي الطّبيعيّ (البديهيّ)

ترى هـذه النّظريّـة أنّ الوحي هو إلهـامٌ طبيعيٌّ شـعر بـه كتبـةٌ موهوبون، وأخذوا بالتّالي في تدوين أفكار مفيدة، فيها نفعٌ للنّاس. هـذا النّوع من الإلهام هو نفس ما يشـعر به الأدباء والشّـعراء والفنّانون والموسـيقيّون وعباقرة النّاس. الكتاب المقدّس، بحسـب هذا الرّأي، ليس فريدًا بأيّ حالٍ من الأحوال، بل يشـبه العديد من المؤلّفات الإنسـانيّة الرّاقية المعبّرة عن "إبداع." هذا رأيٌ يعتقد به عدد من "المفكّرين" اللّيبراليّين، الذين لا يرون في كتّاب المقدّس إلّا "مجموعـة من عبـاقرة الفكر الدّينيّ." الكتاب المقدّس، بحسـب هذه النّظريّة، هو كتابٌ مفيدٌ، ففيه أظهر الإنسـانُ فِرَاسـةً دينيّةً، ومهـارةً في معرفـة بواطن أمور الدّين—مَثَله في ذلك مَثَل الكتب

القديمة التي أفادت الإنسانيّة.[38] الكتاب المقدّس، إذن، ليس كتابًا إلهيًّا، بل هو حصيلةُ تجميعٍ لأفكار دينيّة عند شعوب مختلفة استلهمها كتّابٌ موهوبون، ووضعوها في كتابٍ تعمُّ فائدتُه كلَّ البشر. ولكن علينا أن نؤكّد أنّ هذه ليست عقيدتنا الإنجيليّة في الكتاب المقدّس. فالكتاب المقدّس ليس "مجموعة كتابات بشريّة نُفِخت أو صيغت بشيءٍ إلهيٍّ...[لكنّه] خرج إلى الوجود لأنّ الله بنفسه نفخ به."[39] ولا يمكن أن نعزو وحي الكتاب المقدّس لفكرة الإلهام التي تجعل الفنّانين يبدعون في أعمالهم الفنّيّة، أو تلك التي تلهم الموسيقيّين أن يضعوا مقطوعات موسيقيّة تطرب له الأذن. الفرقُ بين هذا المعنى وبين العقيدة الكتابيّة الخاصّة بوحي الكتاب المقدّس بَيّنٌ.

إنّ أدلَّ دليلٍ على هذا الفرق الظّاهر يأتي من مقارنة نصّ الآية 14 من رسالة رومية والإصحاح 8 مع ما ورد في الأصحاح الأوّل من رسالة بطرس الرّسول الثّانية والآية 21. يقول النّصّ الأوّل: "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ." أمّا النّصّ الثّاني فيقول: "لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرّوحِ الْقُدُسِ." عملُ

---

[38] Millard Erickson, *Christian Theology* (Grand Rapids: Baker Book House, 1998), 231-232.

[39] إدوارد يونج، 29.

الرّوح القدس في المؤمنين هو قيادتهم، وهذا "نصيبُ جميع المؤمنين، وتتكّون [قيادتهم] من استنارة العقل، والسّيطرة على الإرادة والميول وتوجيهها، وعن طريق هذا التّأثير ينالُ العقلُ تلك المعرفة والقوّة والرّغبة لأنْ يفعل ما يسرّ الله؛ إلّا أنّ ارشاد الرّوح أُعطي للأنبياء والرّسل فقط، وقوامُه دفعُهم وتحريضُهم وإثارتُهم ليصبح اعلانُ الله الذي سبق ووصل إليهم معروفًا عند جميع البشر."[40]

إنّ الفارق بين أن يكون المؤمنون "منقادين" بالرّوح وبين أن يكون الأنبياء والرّسل "مسوقين" بالرّوح يؤكّد على أنّ عمل الرّوح في الفئتَين، ولغرضٍ مختلفٍ، لم يكن هو نفس العمل، بل كان عملًا مختلفًا. العملُ الأوّل هو قيادة المؤمنين في حياتهم الرّوحيّة، بينما العمل الثّاني هو "حمْل" البعض لتدوين كلمة الله للبشر. الاستنارة التي يتمتّع بها كثير من المؤمنين ليست هي الوحي، ولن تكون وحيًا في أيّ وقتٍ في المستقبل! بل هي مرتبطة بمدى خضوع المؤمنين لكلمة الله الموحى بها.[41]

يقدم أرتشيبولد هودج وبنيامين وارفيلد طرحًا آخر لعلاقة الاستنارة بالوحي، فمع أنّهما يؤكّدان على أنّ الاستلهام

---

[40] هيرمان باڤينك، 143.

[41] Hugh Martin, and Robert Bremner, *Inspiration of Scripture* (Inverness, Scotland: The Publications Committee of the Free Presbyterian Church of Scotland, 1964), 28.

ليس هو الوحي، غير أنّهما يعتقدان بأنّ أناس الله القدّيسين كانوا على قدرٍ عالٍ من الاستنارة الممنوحة لهم من خلال عمل الرّوح القدس والعناية الإلهيّة—الأمر الذي شمل كلّ مصادر كتاباتهم سواء كانت مصادر تاريخيّة، أو تقليدٍ أو وثائق أو خبرات أو شهادات أو أفكار منطقيّة أو مشاعر أو ما شابه.[42] كلّ هذا تمّ في إطارِ سيادةِ الله،[43] وعمل الرّوح القدس.[44]

نعم، أملى الله بعضًا من وصاياه (تك 22: 15-18؛ خر 20: 1-17؛ إش 43: 1-28)؛[45] وفي مرّات أخر، كتب أناس الله القدّيسون بإرشاد من الرّوح القدس (لو 1: 1-4؛ رو 1: 1-32؛ أف 1: 1-23).[46] ومرّات استعان الكتّاب بمصادر تاريخيّة (قارن 2 أخبار 19 مع إشعياء 19).[47] لقد شمل الوحي (الكلّيّ) في مرونته كلّ هذه الأمور، فالله لا يتحدّث للإنسان من فراغٍ حضاريٍّ-ثقافيٍّ، بل

---

[42] ماهر صموئيل، "وحي الكتاب المقدّس."

[43] Archibald Hodge, and Benjamin B. Warfield, 15-16.

[44] Custer, 63.

[45] Sinclair Ferguson, 55.

[46] Loraine Boettner, 24.

[47] Ibid., 26.

جديرٌ بالذّكر هنا أن نلاحظ أنّ بنيامين وارفيلد (1851م-1921م) عمل أستاذًا للدّراسات اللّاهوتيّة في كلّيّة لاهوت پرنستون، ثم صار آخر "وكيل" لهذه المؤسسة التّعليميّة، في الفترة 1886م-1921م، بعده تحوّل اللّقب إلى "مدير." وكتب وارفيلد أكثر من 80 مؤلّفًا حول قضيّة الوحي!

ضَـمّنَ الله، بروحه القدّوس، ما يصـلح من حضـارةٍ إنسـانيّةٍ في كلمته للإنسان.

الوحي الإملائيّ

تقول نظريّة الوحي الإملائيّ بأنّ الله "أملى" الإنسـان كتابًا موحى به كما هو بالحرف الواحد، دون أن يكون للكاتب البشـريّ (المؤلّف البشـريّ) أيّ دورٍ يُذكر. فـالوحي الإملائيّ يطـابق بين النّصّ وبين نصٍّ آخر محفوظ لـدى الله. الكـاتـب البشـريّ، بحسـب هـذه النّظريّـة، مـا هو إلّا "أداة" ميكـانيكيّـة تـدوّن كلمـات الله بـالحرف الواحد، دون أيّ اعتبار للسّـياقات البشـريّة التي عاشـها، وبالتّالي فظهور معطيات قرينيّة في النّصّ لهو أمرٌ غير معقول. النّصّ إلهيّ بجملته، ولا علاقة بينه وبين الأرض!

ولذا، يبذل عددٌ كبيرٌ من اللّاهوتيّين المُصْـلَحين المنادين بعقيدة الوحي الحرفيّ أو اللّفظيّ (التي سـنقف على شـرح معانيها بعـد قليـل) قصـارى جهـدهم لنفي زعم أن تكون عقيـدة الوحي الحرفيّ مسـاويةً لفكر الوحي الإملائيّ.[48] نذكر في عجالةٍ أن هيرمان بـاڤـــينك وأبراهـام كَيْبَر (1873م-1920م) اقترحـا تعبير "الوحي العضويّ" بديلًا.[49]

[48] Millard Erickson, 232-233.

[49] John Frame, 595.

الوحي الجزئيّ (الدّيناميكيّ)

تنادي هذه النّظريّة بأنّ الدّور الإلهيّ شمل بعض أجزاء الكتاب ولذا فهي إلهيّةُ-المصدر. هذه هي الأجزاء اللّاهوتيّة (التّعاليم الدّينيّة)؛ أمّا الأجزاء الأخرى (التّاريخيّة، مثلًا) فليست بالضّرورة إلهيّة، ويمكن جدًّا أن يعتريها الخطأ.[50] المشكلة الكبرى في هذه النّظريّة هي دورها في خلق نظريّة "العصمة الجزئيّة" فإن كان الوحي شاملًا للأجزاء اللّاهوتيّة فحسب، وبالتّالي فهي معصومة؛ فيلزم أن تكون الأجزاء غير اللّاهوتيّة غير معصومة بالتّبعيّة.

مشكلة أخرى تسبّبت فيها هذه النّظريّة هي أنّها جعلت الكتاب المقدّس خاضعًا للإنسان، ولحُكْمِه على الكلمة. الإنسان هو الحَكَمُ الذي يقول: "هذا جزءٌ موحى به، نخضع له. أمّا هذا فليس موحى به بالضّرورة، لا يلزمنا الخضوع له." هذا يتنافى تمامًا مع تعاليم كلمة الله، في أكثر من موقع، حيث يُطَالَب الإنسان بالخضوع الكامل لكلمة الله. السّلطة لكلمة الله، لا لعقل الإنسان. هذا أمرٌ جدُّ خطيرٌ.

يقول القابلون لهذه النّظريّة: "إنّ الكتاب فوّض إلى أناسٍ يهودٍ تحت الغلط فمزجوا بما أوحي به إليهم أوهامهم الخاصّة وآراء النّاس الشّائعة في عصرهم....ولذلـــك يحقّ للعقل...أن يغربل ما

---

[50] هنري ثيسن، **محاضرات في علم اللّاهوت النّظاميّ**، ترجمة هدى بهيج وسامي مورغان (القاهرة: مركز مورغان للنشر والإعلام، 2014)، 72-73.

يراه صحيحًا بمجرّد ما له من النّور."[51] إنّ نظريّة العصمة الجزئيّة لا تتّفق مع الموقف الكلاسيكيّ المسيحيّ المُعبّر عنه عبر كلّ العصور، وقبل ذلك لا تتّفق أصلًا مع شهادة كلمة الله عن نفسها.

الوحي بالمعنى

هناك نظريّة أخرى تنادي بأنّ الله أوحى بالمعنى فقط للكاتب البشريّ، وترك له حرّيّة التّعبير عنها، كيفما شاء، أي أنّ الله أوحى بالفكرة فقط. وعبّر المؤلّف البشريّ عن الفكر الإلهيّ بكلماتٍ بشريّةٍ.[52] هذه نظرية مرفوضة، لأسباب كثيرة سيأتي الحديث عنها، لاحقًا، في معرض كلامنا عن استحالة فصل الفكر عن اللّفظ المعبّر عنه.

الوحي في الفكر المُصْلَح

قلنا آنفًا إنّ الوحي هو عمل الله الفائق للطّبيعة الذي يشرف من خلاله على أناس الله القدّيسين الذين أعطاهم كلمته لتصل إلينا معصومةً من أيّة أخطاء، وهكذا صارت الكتب المقدّسة كلمة الله للإنسان.[53] هذا هو الموقف التّاريخيّ للفكر المُصْلَح الذي يقول بأنّ

---

[51] جيمس دينيس، **علم اللّاهوت النّظاميّ** (القاهرة: دار الثّقافة المسيحيّة، 1971)، 32.

[52] هنري ثيسن، 73.

[53] Archibald Hodge, and Benjamin B. Warfield, 17-18.

وحي الكتاب المقدّس هو وحيٌ كلّيٌّ (Plenary)، وكاملٌ وشـاملٌ، أي أنّ الكتـاب المقـدّس كلّـه (بكلّ مـا فيـه) هو موحى بـه لفظًا ومعنًى.[54] الموحى بـه ليس جزءًا من الكتـاب المقـدّس، بـل هو كلّ الكتـاب المقدّس (سـفر اللّاويّين كبالشـارة بحسـب يوحنّا)، كلّه كلمة الله المرسـلة إلى الإنسـان، المعصـومة في كلّ ما ذكرت. فالأصـل الإلهيّ للكتاب المقدّس هو ضـامنُ عصـمته، والمؤكّد على خلّوه من أيّة أخطاء.[55]

ويعبّر اللّاهوتيُّ چـيمس دينيس عن هذا الموقف بقوله: "الوحيُ أو الإلهـام هو عمـل روح الله القـدس في العقـل البشـريّ الخاصّ بتأهيل الأنبياء والرّسـل وكتبة الأسـفار المقدّسـة لإظهار الحقّ الإلهيّ بنوعٍ خالٍ أو معصـومٍ من الغلط. وبناءً على ذلك، كلّ ما كتبه الملهمون لإرشـاد البشـر هو كلام الله بالحقّ، والدّسـتور المعطى لنا منه—تعالى—للإيمان والعمل."[56] ولا يقف چـيمس دينيس عند هذا الحدّ، الذي يشـترك فيه مع المؤمنين المُصلَحين كثيرٌ من المسـيحيّين، بل يذهب ليؤكّد على الموقف الكلاسـيكيّ للفكر المُصْـلَح بشـأن عقيدة الوحي، ألا وهي عقيدة الوحي الكلّيّ (لفظًا ومعنًى).

---

[54] Ibid., 18.

[55] Clark Pinnock, *A Defense of Biblical Infallibility* (Philadelphia: Presbyterian and Reformed Pub. Co, 1967), 1.

[56] چيمس دينيس، 102.

يقول چيمس دينيس: "والنّسخ الأصليّة التي خرجت من أيديهم (أي الكتبة) هي معصومةٌ تمامًا ولها سلطانٌ إلهيٌ، وكذلك كلّ نسخةٍ مخطوطةً كانت أو مطبوعةً حال كونها مطابقةً للأصل، لها ذات السّلطان عينه. وقد وصف الوحي بأنّه كاملٌ أي كافٍ لتكميل المقصود منه وأنّ الأسفار المكتوبة بالوحي، وإن كانت قد كتبت بأيدي البشر وبواسطة عقولهم وقواهم الرّوحيّة، هي كلام الله. وقيل إنّ الوحي عمّ الألفاظ والأفكار."[57] هكذا تكتمل الصّورة! فالتّعريف سالف الذّكر مذّخرٌ فيه عددٌ كبيرٌ من الأفكار اللّاهوتيّة التي تستوجب أن نقف أمام معانيها ونشرحها، توضيحًا للموقف المُصلَح، ودفعًا لما يُثار حوله من شبهات، لا أساس أكاديميّ لها.

يظهر بشكلٍ واضحٍ من التّعريف سالف الذّكر أنّ المصدر الأوّليّ للكتاب المقدّس هو الله—تبارك اسمه. الله نفسُه هو المؤلّف النهائيّ للكتاب المقدّس.[58] الله هو صاحب الكتاب المقدّس، وهو مؤلّفه الأوّل، وصاحب كلّ كلمة فيه.[59] "إنّ الكتب المقدّسة قد جاءت بنفخة الله، فهي تستمد في الواقع أصولها منه...الكتب المقدّسة لم تخرج إلى الوجود لأنّ جماعةً من عباقرة

---

[57] چيمس دينيس، 102-103. يقول چيمس دينيس بشموليّة الوحي ليعمّ الأفكار والألفاظ كما يتضّح في مناقشته اللّاحقة في ص.ص. 113-116.

[58] R. C. Sproul, "Inspiration and Authority of Scriptures."

[59] J. I. Packer, *Concise Theology*, 4.

النّاس أبدعتها في لحظةِ وحيٍ، أو أنشـأتها لأنّ الله اختار أفضـل ما كتب النّاس، وأضاف إليه بعض الإلهيّات، أو لأنّها خرجت محتوّيةً على أفكارٍ هي إلى حدٍّ ما الأفكار التي يوافق عليها."[60] ومع أنّ الرّوح القدس عمل، وحمل، وسـاق، ودفع كلّ كتبة الكتاب المقدّس حتّى إنّ كلماتهم صـارت بالحقّ كلمة الله للإنسـان، إلّا أنّه لم يلغ شـخصـياتهم وثقافتهم ومسـتوياتهم التّعليميّة. سـياقات مختلفة يمكن أن نلاحظها في الكتاب المقدّس، وقرائن فكريّة وثقافيّة موجودةٌ بوضـوح داخل الأسـفار التي تتعدّد ألوانُها وتختلف صياغاتُها الأدبيّة—دون أن تختلف أو تتباين رسالتها الجوهريّة.

كلّ هذا التّنوع موجودٌ بوضوح في كلمة الله، ولكن هذا لا ينفي أنّ الكتاب له مؤلّفٌ أوليٌّ، هو الرّوح القدس، الذي مع أنّه أوحى لكثيرين في قرائن وسـياقات مختلفة ومتعدّدة، إلّا أنّه كان الضّامن الأوحد والسّبب الرّئيس في وحدة أسفار الكتاب المقدّس. فالكتاب الذي تعدّدت قرائنه على هذا النّحو، يحكي قصّة واحدة، هي مسيرة الله مع شـعبه التي بدأت في الجنّة، واسـتمرت في العهد القديم، حتّى جاء ملء الزّمان وأرسـل الله ابنه إلينا في الجسـد. ولا يقبل أيُّ عـاقـلٍ أن يكون مؤلّف هـذه المجموعـة من الأسـفـار، الموضـوعة في قرائن متباينة، على هذا القدر من المهارة حتّى تخرج أسفارُه متّسقةً، بالرّغم من اختلاف وضعها في الزّمان والمكان.

---

[60] إدوارد يونج، 30-31.

فـ"لم يكن كتبة الكتاب عند قبولهم الوحي بدون حسٍّ أو عقلٍ، خلافًا لزعم بعضهم قديمًا أنّهم كانوا في يد الرّوح كآلاتٍ ميكانيكيّةٍ، أي كأقلام كتب بها الرّوح كيفا شاء بل تكلّموا مسوقين من الرّوح القدس نظير آلات حيّة ناطقة عاقلة ذات إرادةٍ مرتشدةٍ بروح الله. فيلزم عمّا تقدّم أنّ الوحي لم يوقف قوى الموحى إليه مدّة وجوده، ولا نزع ما امتاز به أحدهم عن الآخر من السّجايا والقوى. فالعاميُّ منهم تكلّم كلامَ العاميّ، كعاموس؛ والعالِمُ كلامَ العالِمِ؛ وذو العقل المنطقيّ كلامَ المنطقيّ المائل إلى إيراد الأدلّة بكلّ ضبطٍ، كبولس، أي كلٌّ كتب حسب خواصّه العقليّة. ولذلك نرى في جميع الأسّفار المقدّسة ما يدلُّ على خواصّ كتبتها كأنّهم لم يكونوا تحت سلطانٍ إلهيٍّ، ومع ذلك كانوا آلات حقيقيّة في يد الرّوح القدس."[61]

الرّوح القدس هو السّبب في أن خرجت هذه الأسفار على هذا النّحو المبهر. لقد نشأت "تلك الأسفار عن عقلٍ واحدٍ وهو عقل الله لأنّه هو وحده المعلومة عنده."[62] ولذا يمكننا بكلّ يقين أن نقول إنّ ما جاء في الكتاب المقدّس هو كلمة الله بالحقّ. لقد أكّد المسيح، له المجد، على هذا الحقّ مرارًا وتكرارًا باقتباساته المتعدّدة من أسفار التّوراة، ناسبًا ما يقتبسه إلى الله نفسه. أشار

---

[61] چيمس دينيس، 104.

[62] المرجع السّابق، 110.

الرّبّ يسوع المسيح إلى عددٍ كبير من نصوص العهد القديم على أنّها كلمات الله نفسه.[63] ونرى الرّسل في الإنجيل يفعلون نفس الشّيء بحديثهم عمّا ورد في التّوراة. إنّ هذا التّأكيد الجمعيّ من الرّبّ وحواريّيه لا يصحّ أن يغيب عن أنظارنا. هذه بعض المواقع التي تثبت هذا الطّرح:

"لأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمُ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا" (مر 7: 10).

"لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: "اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي، حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْك" (مر 12: 36).

"فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: "حَسَنًا تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ! كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "هذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا" (مر 7: 6).

"لأَنَّ مُوسَى يَكْتُبُ فِي الْبِرِّ الَّذِي بِالنَّامُوسِ: "إِنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا" (رو 10: 5).

---

[63] J. I. Packer, *Truth and Power: The Place of Scripture in the Christian Life* (Wheaton: Harold Shaw Publishers, 1996), 35.

"ثُمَّ إِشَعْيَاءُ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ: "وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي، وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي" (رو 10: 20).

"وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ: "إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (2 كو 6: 16).

"الْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ فَتَاكَ: لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ بِالْبَاطِلِ؟" (أع 4: 25).

"فَانْصَرَفُوا وَهُمْ غَيْرُ مُتَّفِقِينَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، لَمَّا قَالَ بُولُسُ كَلِمَةً وَاحِدَةً: "إِنَّهُ حَسَنًا كَلَّمَ الرُّوحُ الْقُدُسُ آبَاءَنَا بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ" (أع 28: 25).

"وَدَاوُدُ يَقُولُ: "لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ فَخًّا وَقَنَصًا وَعَثْرَةً وَمُجَازَاةً لَهُمْ" (رو 11: 9).

"الَّذِينَ يَخْدِمُونَ شِبْهَ السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا، كَمَا أُوحِيَ إِلَى مُوسَى وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَصْنَعَ الْمَسْكَنَ. لأَنَّهُ قَالَ: "انْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمِثَالِ الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ...لأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لاَئِمًا: "هُوَذَا أَيَّامٌ

تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا" (عب 8: 5، 8).

"وَيَشْهَدُ لَنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا. لأَنَّهُ بَعْدَمَا قَالَ سَابِقًا: "هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَهُمْ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ..." (عب 10: 15-17).

"فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: "أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟" (مت 19: 4).

"إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ، إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضًا فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: "أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ". إِنَّهُ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، غَيْرَ عَتِيدٍ أَنْ يَعُودَ أَيْضًا إِلَى فَسَادٍ، فَهكَذَا قَالَ: "إِنِّي سَأُعْطِيكُمْ مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ." وَلِذلِكَ قَالَ أَيْضًا فِي مَزْمُورٍ آخَرَ: "لَنْ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا." لأَنَّ دَاوُدَ بَعْدَ مَا خَدَمَ جِيلَهُ بِمَشُورَةِ اللهِ، رَقَدَ وَانْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ، وَرَأَى فَسَادًا. وَأَمَّا الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فَلَمْ يَرَ فَسَادًا" (عب 13: 33-37).

"وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ. بَلْ "بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (رو 9: 7).

"لأَنَّهُ هُوَ إِلهُنَا، وَنَحْنُ شَعْبُ مَرْعَاهُ وَغَنَمُ يَدِهِ. الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ، فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي مَرِيبَةَ، مِثْلَ يَوْمِ مَسَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ، حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمْ. اخْتَبَرُونِي. أَبْصَرُوا أَيْضًا فِعْلِي. أَرْبَعِينَ سَنَةً مَقَتُّ ذلِكَ الْجِيلَ، وَقُلْتُ: "هُمْ شَعْبٌ ضَالٌّ قَلْبُهُمْ، وَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي. فَأَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: "لاَ يَدْخُلُونَ رَاحَتِي" (مز 95: 7-11).

"وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ "فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ" (غل 3: 8).

(انظر أيضًا: يش 24: 26؛ 1 صم 8: 10؛ 2 صم 23: 2؛ 1 مل 17: 24، 22: 14؛ 1 أخ 17: 15؛ عز 1: 1؛ مز 19: 7، 138: 2؛ أم 30: 5، إش 59: 21؛ إر 1: 9، 30: 2، 36: 1، 8، 10، 13، 16-20، 27-28، 32، 45: 1؛ حز 3: 10؛ دا 12: 8-9؛ هو 1: 1؛ عا 1: 1؛ حب 2: 2؛ مت 5: 18، 10: 20؛ لو 16: 17؛ يو 3: 34، 6: 63، 8: 47، 10: 35، 11: 51، 14: 10؛ أع 1: 16، 28: 25؛ 1 كو 14: 37؛ 2 بط 3: 16؛ رؤ 1: 10-11، 2: 8، 3: 1، 14: 13، 22: 18-19).[64]

[64]Stanley Anderson, "Verbal Inspiration Inductively Considered," in *Evangelicals and Inerrancy,* ed. Ronald Youngblood (Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1984), 21.

المسيح والكتاب المقدّس

سـأل الفريسـيّون الرّبّ، مرّةً، عن قضـيّة الزّواج فكان ردّه أن اقتبس من العهد القديم، ناسـبًا ما اقتبسـه إلى الله نفسـه، مع أنّ المتحدّث كان موسى! قال الرّبّ: "أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟" (مت 19: 4)؛ إنّنا نعلم أنّ موسى هو صاحب هذه الكلمات التي وردت في سـفر التّكوين 2: 24 "لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا." كما نرى أنّ قول الرّبّ في البشـارة بحسـب متّى 22: 42-45 "مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟" قَالُوا لَهُ: "ابْنُ دَاوُدَ." قَالَ لَهُمْ: "فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرّوحِ رَبًّا؟ قَائِلًا: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: "اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟" أيضًا نسب كاتبُ الرّسالة إلى العبرانيّين كلمات داود "الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ، فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي مَرِيبَةَ، مِثْلَ يَوْمِ مَسَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ" (مز 95: 7-8)، وكلمات إرمياء "بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا." (إر 31: 33) مباشـرةً إلى الرّوح القدس (عب 3: 7، 10: 15).

كذلك نسـب الرّسـل أقوال داود في سـفر المزامير الإصحاح الثّاني، والتي أوردوها في سفر أعمال الرّسل 4: 25 "فَلَمَّا

سَمِعُوا، رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتًا إِلَى اللهِ وَقَالُوا: "أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا الْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ فَتَاكَ: "لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشَّعُوبُ بِالْبَاطِلِ؟" إلى الرّوح القدس مباشرة. كذلك نسب اليهود كلمات النّبيّ إشعياء في (إش 6: 10) إلى الرّوح القدس مباشرة، قائلين: "...حَسَنًا كَلَّمَ الرّوحُ الْقُدُسُ آبَاءَنَا بِإِشَعْيَاءَ النّبِيّ، قَائِلًا: "اذْهَبْ إِلَى هذَا الشَّعْبِ، وَقُلْ: "سَتَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُونَ، وَسَتَنْظُرُونَ نَظَرًا وَلاَ تُبْصِرُونَ." (أع 28: 25-26).[65]

ومن الملفت في سياق هذا النّقاش أن نلاحظ أنّ الرّبّ يسوع كثيرًا ما قاوم التّعاليم اليهوديّة البالية، التي حوّلت نعمة الله المُعلنة في أسفار العهد القديم إلى شرائع قاسية لم يأمر بها الله، لكنّه لم يعارض البتّة الكلمة المكتوبة. كثيرًا ما قال: "سمعتم أنّه قيل...أمّا أنا فأقول..." (مت 5: 21-22). لقد ناقض تعاليم الفريسيّين التي وضعت أثقالًا على كاهل النّاس يصعب حملها، لكنّه خضع للمكتوب، ولم ينقضه أبدًا (مت 5: 17). لقد التزم به وحثّ تابعيه وحواريّيه أن يفعلوا نفس الشّيء. كما أنّه استخدم العهد القديم ليجيب عن مسائل دينيّة مختلفة (القيامة مر 12: 24-27؛ الزّواج مت 19: 5-6؛ السّبت مت 12: 2-8).[66]

---

[65] للمزيد انظر چيمس دينيس، 106-110.

[66] J. I. Packer, *Truth and Power*, 35.

ولنا في كلمات الرّسول بطرس (2 بط 3: 15-16) ملاحظة أخرى جدُّ مهمّة. يُذكّر الرّسول بطرس مَنْ يقرؤون رسالته بما سبق وكتب، شريكُه في الخدمة الرّسوليّة، الرّسولُ بولس في الرّسائل، قائلًا: "وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاَصًا، كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضًا، مُتَكَلِّمًا فِيهَا عَنْ هذِهِ الأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ، كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ." نجد في هذه الكلمات شهادةً رسوليّةً عن وحي كلمات الرّسول بولس في الرّسائل، الرّسول بطرس يضع، بكلماتٍ لا تحتمل أيّ تحويرٍ أو تأويلٍ، كتابات بولس في مساواة مطلقة مع "باقي الكتب." الكلمة اليونانيّة المستخدمة هنا هي (γραφὰς) وهي نفس الكلمة التي استخدمها الرّسول بولس في 2 تيم 3: 16 (πᾶσα γραφὴ θεόπνευστος). يؤكّد هذا النّصّ (2 بط 3: 15-16) أنّ ما كتبه الرّسول بولس هو وحيٌ، كما كان الرّسول بطرس وبقيّة الكنيسة الأولى تؤمن، وبالتّالي له نفس القدر من التّقدير الذي لكتابات العهد القديم.

عصمة الكتاب المقدّس

البعد الثّاني الذي نراه واضحًا في التّعريف سالف الذّكر هو عصمة الكتاب المقدّس. حيث إنّ الرّوح القدس هو المؤلّف الأوّليّ

للكتاب المقدّس، وحيث إنّه هو الذي حمل الكتاب (المؤلف الثّانويّ) فيلزم أن يكون الكتاب المقدّس معصومًا في كلّ ما تكلّم عنه—وليس في الأمور اللّاهوتّية فحسب. كيف لنا أصلًا أن نثق لاهوتيًّا في كتابٍ فيه خطأٌ غير لاهوتيّ! إنْ أخطأ هذا الكتاب في واحدةٍ فما المانع أن يصير مجرمًا في الكلّ! التّعريف السّابق يؤكّد على مبدأ العصمة الكلّيّة التّامّة الشّاملة، لا الجزئيّة. "فغايةُ الوحي حفظ الموحى إليه من الخطأ في القول والكتابة."[67]

ولا يسمح المجال هنا لمناقشة الأمور غير الدّينيّة التي ورد ذكرُها في الكتاب المقدّس، ولكن يكفينا أن نؤكّد على أنّ الكتاب المقدّس ليس كتابًا علميًّا أو فلكيًّا أو تاريخيًّا. ولكن كلّ ما جاء فيه (بشأن هذه العلوم) صحيح؛ إذ إنّه لا يمكن أن يكون مغايرًا للحقيقة في أيّ شيء.[68] ويفيدنا جدًّا علم التّفسير الكتابيّ في إيضاح بعض الأمور المستعصيّة التي يراها البعض "أخطاءً." يقول يونج: "من الجائز أن يقع الخلاف بين الكتاب وبعض النّظريّات، فهذا ممكن؛ أمّا أن يقع الخلاف بين الكتاب والحقيقة فهذا مستحيل، إذ أنّ الكتاب والحقيقة كلاهما من الله."[69] هذا لا يعني أنّ الموحى إليهم كانوا معصومين في حياتهم الشّخصيّة. فالكتاب

---

[67] چيمس دينيس، 103

[68] إدوارد يونج، 122.

[69] المرجع السابق.

المقدّس يسجّل لنا عددًا من الخطايا التي ارتكبها "أناس الله القدّيسيّون" في حياتهم الشّخصيّة كبشرٍ، مَثَلَهم في ذلك مَثَل كلّ بني آدم (انظر عد 20: 7-13؛ غل 2: 11-14)![70]

للوحي الكلّيّ مرونة واضحة، نراها مثلًا في الحديث عن أمور شخصيّة كالرّداء (2 تيم 4: 13)؛ وصحّة تيموثاوس (1 تيم 5: 23)؛ وطريقة معاملة أنسيموس (فل 10-16).[71] كما اشتملت مرونة الوحي الكلّيّ على صياغات تعبيريّة ولغة تصويريّة وحديث عمّا كان معروفًا وشائعًا بين الناس آنذاك من علوم وأفكار عن الطّبيعة والكون (انظر لو 16: 29؛ مز 18: 20، مز 7: 9، 22: 10؛ إش 13: 10؛ قض 5: 20؛ أي 38: 31؛ 9: 9؛ عا 5: 8، أم 1: 5؛ مت 13: 6؛ إش 40؛ أي 9: 8؛ مز 67: 7، 72: 8).[72]

ويبقى الكتاب المقدّس الذي هو كلُّه كلمة الله، صحيحًا في كلّ ما تكلّم عنه (أمور لاهوتيّة وغير لاهوتيّة). "إنّ الوحي بالكتاب ينطبق على كلّ أجزائه أي أنّ كلّ أسفاره موحى بها في كلّ عباراته بدون استثناء وعلى كلّ ما تحويه فلا يقتصر على الحقائق الأدبيّة والدّينيّة، بل يشمل كلّ ما ذكر فيه من الأمور العلميّة والتّاريخيّة

---

[70] Loraine Boettner, 27.

[71] المرجع السّابق، 48-49.

[72] Robert Preus, "Notes on the Inerrancy of Scripture," in *Evangelicals and Inerrancy, ed. Ronald Youngblood* (Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1984), 97-99.

والجغرافيّة."[73] بالإيجاز، لا توجد أيّة فائدة من الحديث عن وحي الكتاب المقدّس بدون الإقرار بعصمته الكلّيّة، "فالوحي بدون عصمة لهو تعبير مفرغ من المعنى، والعصمة بدون الوحي أمرٌ لا يمكن أن يُتخيّل."[74]

المعنى واللّفظ

نلاحظ أيضًا أنّ الوحي، في الفكر المُصْلَح، يشمل الأفكار والمعاني. فلا يفصل الفكر المُصْلَح بين المعنى واللّفظ المعبّر عنه. ولكن ما معنى ذلك؟ وما ضرورة التّمسك بهذا الموقف؟ ألا يكفي أن نؤكّد على أنّ للكتاب المقدّس كاتبين: أوليّ وثانويّ؟ في الواقع، إنّ التّأكيد على شموليّة الوحي غاية في الأهمّيّة، إذ يرتبط بقضيّة عصمة الكتاب المقدّس نفسه. لا يفوتنا هنا أن نؤكّد على أنّ القول بأنّ الوحي كليٌّ حرفيّ لفظيّ يشمل اللّفظ والمعنى ينطبق على المخطوطات الأصليّة (autographs) وما كان مطابقًا لها بالتّمام والكمال من نسخٍ لاحقةٍ فقط. وبالتّالي فهذا لا يشمل التّرجمات اللّاحقة، في أيّة لغةٍ كانت أو تكون. "لقد كُتبت المخطوطات

---

[73] جيمس دينيس، 112.

[74] R. C. Sproul, "Biblical Interpretation and the Analogy of Faith" in *Inerrancy and Common Sense,* ed. Roger Nicole, et al, (Grand Rapids: Baker Book House, 1980), 134.

الأصليّة بإرشادٍ إلهيٍّ، ومن ثمّ فهي معصومةٌ بشكلٍ مُطلقٍ."[75] ولنناقش هذا الطّرح بتفصيلٍ أكثر.

يقول هذا الموقف اللّاهوتيّ المُصْلَح، في أبسط معانيه، إنّ روح الله، حين كان يوحي بكلمة الله للكتّاب البشريّين كان يعصمهم من أيّة أخطاء، عن طريق منحهم الفكرة التي يريد الله أن تصل إلى الإنسان، متبوعةً باللّفظ الذي يعبر عن هذه الفكرة. ولكن هل من دليلٍ على صحّة هذا الفكر؟ ولماذا يعدّ هذا القول مهمًّا؟ ولماذا لا نقبل الطّرح القائل بأنّ الله أعطى "الفكرة" وترك للكتّاب حرّيّة اختيار اللّفظ المُعبّر عنها؟ وهل يمكن أصلًا أن نفصل المعنى عن اللّفظ المُعبّر عنه؟

شموليّة الوحي

من النّاحية المنطقيّة واللّغويّة، معروفٌ أنّه يستحيل فصل المعنى عن اللّفظ المُعبّر عنه. يقول الأديب العربيّ أبو عليّ الحسن بن رشيق المعروف بالقيروانيّ (999م-1064م): "اللّفظ جسمٌ، وروحُه المعنى، وارتباطُه كارتباطِ الرّوح بالجسد، يضعفُ بضعفه، ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللّفظ، كان نقصًا للشّعر، وهُجْنَة[76] عليه...فإنْ اختل المعنى كلّه وفسد،

[75] Louis Berkhof, 50.

[76] أي: العيب والقبح.

بقي اللّفظ مواتًا لا فائدة فيه."[77] وتعليقًا على هذه الكلمات، يقول عادل هادي حمادي: "لأنّ التّفكير في اللّفظ والمعنى تفكيرٌ جمليٌ يفكر فيه الأديب مرّة واحدة وبحركة عقليّة واحدة، فإذا رتبت المعاني في الذّهن ترتيبًا منطقيًّا، وإذا تحدّدت في الفكر تحديدًا يجمعه ترابط المعاني وتداعيها هذا التّرابط وهذا التّداعي الذي يرضاه المنطق أو يرضاه تصوّر الأديب، انحدرت هذه المعاني على اللّسان بألفاظها الملائمة بها خطابة، وانحدرت على القلم بألفاظها المطاوعة لها كتابة وشعرًا من غير تهذيبٍ واختيارٍ لهذه الألفاظ."[78] وكان شوقي ضيف (الأديب وعالِم اللّغويّات المصريّ والرّئيس السّابق لمجمع اللّغة العربيّة المصريّ) يقول باستحالة فصل اللّفظ عن المعنى أيضًا.[79]

خلاصةُ القول، إذن، هي أنّ "طبيعة اللّفظ والمعنى هي التّلازم، فلا وجود للفظٍ بدون معنى، ولا وجود لمعنى بدون لفظ. فإذا كان المعنى صورة ذهنيّة، فقد وضع بإزائه لفظ هو القصد من تلك الصّورة أو هويتها."[80] فالعلاقة بين اللّفظ والمعنى علاقة

---

[77] عادل هادي حمادي، "قضية اللّفظ والمعنى،" في **الأستاذ**، عدد 201، 2012، (201-210): 206.

[78] المرجع السّابق.

[79] المرجع السّابق.

[80] مليكة حفان، "من قضايا اللّفظ والمعنى بين اللّغويّين والبلاغيّين،" في **ديوان العرب**، 16، مارس 2007، متاح على:

حتميّة ملتزمة عضـويّة.[81] والفصـل بينهما، أو الكلام عن الفصـل بينهما، صـوريٌّ مصـطنع.[82] هنا يقول هيرمان بـاڤـينك إنّ فصل المعنى من اللّفظ "حماقةٌ."[83] وهذا هو نفس المبدأ الذي عبّر عن اللّاهوتيُّ إدوارد يونج بقوله: "من المسـتحيل عندنا فصـلُ أفكار الكتـاب عن كلمـاتـه."[84] كمـا يحـاجّ أرتشـيبولـد هودج وبنيـامين وارفيلد، قائلين: "إنّ الأفكار المعصـومة من الخطأ لا بدّ وأن تكون أفكارًا أكيدة وقطعيّة (definite) والأفكار القطعيّة تحوي وتشـمل ألفاظًا."[85]

وتقف كلمات الرّسـول بولس في 1 كو 2: 13 "الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا، لاَ بِأَقْوَال (λόγοις) تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ" دليلًا قاطعًا على أنّ المقارنة (Συγκρινεσθαι) تتمّ بيـن الأفكار الرّوحيّة والكلمات الرّوحيّة.[86] هذا على عكس التّفسـير الشّـعبويّ الشّـائع بين النّاس لهـذا النّصّ. تؤكّـد هـذه الكلمـات الإلهيّـة أنّ "معنى" الوحي الـذي

---

http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=8242

[81] مليكة حفان.

[82] Millard Erickson, 240.

[83] Herman Bavinck, 389.

[84] إدوارد يونج، 60.

[85] Archibald Hodge, and Benjamin B. Warfield, 22.

[86] Ibid., 23.

تسلّمه الرّسول بولس كان مرتبطًا "بكلماتٍ" عبّرت عنه. وللبـــرهنة على هذا الرّابط العضـويّ، كما يتّضح في هذه الآية، يقول چـــون كالـڤـن إنّ أرسطو استخدم هذا التّعبير (Συγκρινεσθαι) ليشير إلى ما هو "ملتصـــقٌ معًا، أو محاكٌ معًا."[87] وهذا ما أكّدته التّرجمةُ البَيْن-السّـــطريّة في قولها "فَنَشْـــرَحُ الحَقَائِقَ الرّوحَانِيّةَ بِعِبَارَاتٍ رُوحَانِيّةٍ."[88] هذا أيضًـــا ما أدركته ترجمات إنجليزيّة كثيرة، نذكر منها:

"...explaining spiritual realities with Spirit-taught words (NIV);

"...combining spiritual things with spiritual words" (ASV);

"...adapting, as we do, spiritual words to spiritual truths" (WNT).

إذن، إن ســـلّمنا بأنّ المعنى موحى به من الرّوح القدس وأنّ ثمّة علاقة عضـــويّة بين المعنى واللّفظ المعبّر عنه، فلا مناص من أن نسلّم بشموليّة الوحي الذي قاد فيه الرّوحُ الكاتبَ البشريَّ للتّعبير عن فكر الله، بكلماتٍ أرشـــد إليها الرّوح القدس أناسَ الله القدّيســـين. أَلَيْس من المنطقيّ أن نعترف بأنّ الحقّ الذي ســـيتمّ إيصاله للإنسان مرتبطٌ بالكلمات التي ستعبّر عنه؟!

---

[87] John Calvin, *Commentaries on the Epistles of Paul the Apostle to the Corinthians*, vol. I, trans. John Pringle (Grand Rapids: CCEL, 2005), available at: https://www.ccel.org/ccel/calvin/calcom39.ix.iv.html.

[88] بولس الفغاليّ وآخرون، **العهد الجديد: ترجمة بين السّطور يونانيّ-عربيّ** (بيروت: الجامعة الأنطوانيّة، 2003)، 796.

في الواقع، الوحي الذي لا يرتبط بكلماتٍ تعبّر عنه هو وحيٌ لا علاقاتيّ، وبالتالي خارج سياق التّواصل.[89] فـ"الألفاظُ هي الواسطة لإيضاح المعنى ومن المعلوم أنّ ضبطَ المعنى يستلزمُ ضبط الألفاظ. ولذلك لا تصحّ نسبة العصمة إلى الأفكار، دون الألفاظ التي توضّحها."[90] كيف لنا أن نثق بألفاظٍ بشريّةٍ عن الله، إن لم يكن الرّوح القدس هو مَنْ حمل الكتّاب على استخدامها؟ ألا تصير هذه الكلمات حاملةً لبعض "الأفكار" عن الله—يُحتمل جدًّا أن تكون صحيحةً أو خاطئةً.[91] ولماذا نصدّق أقوالًا بشريّة عن الله، هي ليست أقوالنا نحن؟ لعلّ مَنْ قالوها أخطأوا؟ ولما لا نقول نحن أقوالًا جديدة عن الله، على شاكلة أقوالهم، ونكتبها في كتابٍ؟ لعلّها تكون أفضل، فنحن لدينا معرفة تراكميّة، وعلمًا أفضل بشأن أمور الدّنيا والدّين؟ يصبح كلّ هذا الهراء صحيحًا، إن لم نسلّم بالوحي الكلّيّ.

نقدّم الآن بعض الأدلة على الوحي الكلّيّ، الشّامل للمعنى واللّفظ: الدّليل الأوّل دليلٌ كتابيّ، والثّاني دليلٌ تاريخيّ نعرض فيه لموقف آباء الكنيسة وعددٍ من اللّاهوتيّين، ونتبعه بالحديث عمّا جاء في اقرارات الإيمان المُصْلَحة بشأن وحي الكتاب المقدّس.

---

[89] Clark Pinnock, 16.

[90] چيمس دينيس، 114.

[91] Loraine Boettner, 12.

الدّليل الكتابيّ

استخدم الرّبّ يسوع "نفس" ألفاظ الكتب المقدّسة لإقامة حجّة لاهوتيّة وتقديم تعليمٍ دينيٍّ معيّن. استخدم السّيّد المسيح لفظة "ربّ" قائلًا إنّ داود دعاه "ربًّا" (قارن مز 110 مع متّى 22:41-46). مرّة أخرى، نقرأ في البشارة بحسب يوحنّا 10: 33-35: إنّ اليهود قالوا للمسيح "لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَل حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: "أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ..." قال اليهود هذه الكلمات لأنّهم كانوا غاضبين من المسيح بعد أنْ أعلمهم أنّه الله المتجسّد. والغريب أنّ ردّة فعل الرّبّ كانت اللّجوء إلى نصٍّ من نصوص التّوراة، وقد اقتبس الرّبّ منها كلمةً مفردةً ألا وهي كلمة "آلهة." هذا يؤكّد أيضًا أنّ الوحي لم يكن وحيًّا بالمعنى، بل حتّى كلمات الكتب المقدّسة في صيغها (مفردة أو جمع) شملها الوحي.

كما نقرأ في الرّسالة إلى غلاطية 3: 16: "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: "وَفِي الأَنْسَالِ" كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: "وَفِي نَسْلِكَ" الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ." الرّسول بولس يقيم حجّةً كاملةً عن نسل إبراهيم الحقيقيّ بناءً على كلمة وحيدة وردت في صيغة المفرد، لا صيغة الجمع! كما يذكر الرّسول بولس في الرّسالة الأولى إلى كورنثوس 2: 13، "التِّي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا،

لاَ بِأَقْوَال تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرّوحُ الْقُدُسُ، قَارِنِينَ الرّوحِيَّاتِ بِالرّوحِيَّاتِ." هنا يؤكّد الرّسول بولس أنّ ما يعطيه إيّاه الرّوح القدس ليس أفكار دينيّة مفيدة للكنيسة، بل هي كلمات من الرّوح نفسه. وينكر الرّسول بولس هنا أن تكون كلمات الوحي "أقوالًا" (معاني) إنسانيّة. بل يؤكّد أنّها أقوالٌ وألفاظٌ يعلّمها الرّوح القدس.

حين دعا الرّبّ إرميا قال له: "هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي فِي فَمِكَ" (إر 1: 9). هذا يعني أنّ النّبيّ كان على دراية تامّة بأنّ ما يصله من خلال الرّوح القدس هو كلمة الله، التي يجب أن يوليها كلّ اهتمام. ألا يمكننا أن نستنتج أنّ الله الذي أعطى نبيّه هذه "الكلمات" هو نفس الإله الذي أحاط نفس هذه "الكلمات" بعنايته حتّى تصل لأجيال مستقبليّة؟![92]

نلاحظ كذلك أنّ أنبياء العهد القديم كانوا يدركون أنّهم يحملون كلمات الله مباشرة للشّعب، وكانوا على دراية أنّ الموضوع في أفواههم هو كلمة الله التي يجب أن تُنْقَلَ كما هي، دون أيّة تعديلات. وكثيرًا من نقرأ تعبير "هكذا قال الرّبّ..." الذي يملئ الكتاب المقدّس، وغيره من التّعبيرات التي تظهر الشّخصيّة الحقّيقيّة لمؤلف الكتاب المقدّس، الله—تعالى. من المعروف أنّ بعض الحفريّات القديمة كانت تبدأ بتعبير "هكذا قال فلان..."

[92] Louis Berkhof, 46.

وكانت تلك الحفريات أو ما شابهها من نصوص رسالةً واضحةَ- المؤلّفِ، تحمل سلطانَ ملكٍ أو أميرٍ ما.[93]

بنفس القياس، يمكننا أن ندرك سلطة الكتاب المقدّس، الذي يؤكّد على مصدره الإلهيّ بالقول "هكذا قال الرّبّ..." وكثيرًا ما يتحوّل الكتاب في العهد القديم من استخدام لغة المتكلّم "كأنّما الله هو المتكلّم بنفسه."[94] وهذا يعني أنّ أنبياء العهد القديم حين كانوا يستهلون كلامهم بهذا التّعبير، فإنّهم يدركون بل يؤكّدون لمستمعيهم في ذات الوقت على أصل كلماتهم، هم بذلك يحملون "رسالة من السّيّد المطلق ملك إسرائيل، أي من الله نفسه، كما أنّ كلماتهم هي كلمات الله ذات السّلطان المطلق."[95] إنّ هذه الافتتاحيّة (هكذا قال الرّبّ) هي "البرهان الأعلى في الكتاب المقدّس."[96]

وفي العهد الجديد، منح المسيح حواريه سلامًا بأنْ أكّد لهم أنّهم لن يكونوا بمفردهم، بعد ذهابه عنهم، فالرّوح القدس (الذي حمل أناس الله القدّيسين في كتابة وحي العهد القديم، قديمًا) موجودٌ مع الحواريّين، يرشدهم ويعلّمهم كلّ شيءٍ وينهض ذاكرتهم بكلّ ما علّمهم المسيح (يو 14: 26). هذه المعيّة هي ما

---

[93] إدوارد يونج، 54.

[94] المرجع السّابق.

[95] واين جرودم، 58.

[96] چون كالڤن، 43.

أدركها الرّسـول بولس في حديثه إلى التّسـالونيكيّين، إذ قال: "مِنْ أَجْلِ ذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا نَشْكُرُ اللهَ بِلاَ انْقِطَاعٍ، لأَنَّكُمْ إِذْ تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَلِمَةَ خَبَرٍ مِنَ اللهِ، قَبِلْتُمُوهَا لاَ كَكَلِمَةِ أُنَاسٍ، بَلْ كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ اللهِ، التِّي تَعْمَلُ أَيْضًا فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ" (1 تس 2: 13).

لقد علم وعلّم الرّسـول بولس أنّ الكلمة التي أودعها فيه الرّوح القدس والتي آمن بها وقبلها التّسـالونيكيّون لم تكن كلمةً عن الله، ولم تكن خبرًا طيبًّا عنه، تبارك اسمُه، بل كانت هي بالحقّ كلمة الله. يوجز هيرمان باڤـينك هذا الموقف اللّاهوتيّ بقوله: "يمكن القول بأنّه مع أنّ المسـيح نفسَـه لم يترك من بعده وثيقةً مكتوبةً، فهو اختار ودعا وأهّل تلاميذه ليذهبوا في وسـط العالم وبصفة خاصّة بعد رحيله، ليكونوا شهوده (مت 10: 1؛ مر 3: 13؛ لو 6: 13؛ 9: 1؛ يو 6: 70). وهو يؤهلهم لهذا العمل بإعطائهم مواهب وقوى خاصّة، وبصفة خاصّة منحهم الرّوح القدس الذي سـيذكّرهم ويرشـدهم إلى جميع الحقّ....ولذلك فليس الرّسـل أنفسـهم هم الذين يشـهدون ليسـوع، ولكن هو الرّوح القدس يشـهد فيهم ومن خلالهم ليسـوع (يو 15: 26، 27). فكما أنّ الابن جاء ليمجّد الأب، فإنّ الرّوح القدس يأتي ليمجّد الابن، ولهذه الغاية فإنّ الرّوح يأخذ من الابن كلّ ما يتكلّم به وكلّ ما يفعل (يو 16: 14)."[97]

[97] هيرمان باڤينك، 137-138.

الدّليل التّاريخيّ

يمكن أن نُتبع حديثنا عن الدّليل الكتابيّ بدليلٍ آخر: الدّليل التّاريخيّ. يَعْلمُ دارسو التّاريخ، دراسةً موضوعيّةً، أنّ عقيدة الوحي الكلّيّ للكتاب المقدّس، وبالتّالي عصمته الكلّيّة، كانت العقيدة الرّسمية للكنيسة عبر العصور. ولم تكن أبدًا عقيدة جديدة اخترعها المحدثون.[98] ولم تعتقد الكنيسة عبر عصورها الأولى، أبدًا، أنّ الكتاب المقدّس كتاب غير كامل، ليس محل ثقة لأنّه كتابٌ بشريٌّ؛ بل كانت دائمًا تراه كتابًا إلهيَّ-المصدر.[99] ويبدو أنّ عقيدة الكتاب المقدّس هي بالفعل أكثر عقائد الكنيسة التي تمّت الموافقة عليها بشكل كبيرٍ وجمعيٍّ.[100]

معروفٌ لدارسي التّاريخ الكنسيّ أنّ عددًا كبيرًا من العقائد المسيحيّة تمّ الاختلاف عليه بين اللّاهوتيّين عبر العصور. خُذْ مثلًا عقيدة الخطيّة الأصليّة، أو الأسرار المقدّسة، أو الأمور الآخرة، ستجد لاهوتيّين قضوا حياتهم تشغلهم هذه القضيّة أو تلك، ستجد كذلك عددًا من المجامع التي انعقدت لتناقش قضايا لاهوتيّة خلافيّة، تسبّبت أحيانًا في خلق فُرقة بين المسيحيّين.

---

[98] Kenneth Kantzer, "Evangelicals and the Doctrine of Inerrancy," in in *The Foundation of Biblical Authority*, ed. James Montgomery Boice (Grand Rapids: Zondervan, 1978), 152.

[99] A. A. Hodge, 80.

[100] G. C. Berkouwer, 11.

ولكن لا نرى في تاريخ الكنيسة مثل هذا الخلاف بالنّسبة للعقيدة في الكتاب المقدّس.[101] لقد اجمع كلُّ لاهوتيّ المسيحيّة عبر العصور المختلفة على أنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله الموحى بها.[102] نسوق الآن بعض أمثلة هذا الإجماع التّاريخيّ.

يعلّم القدّيس الشّهيد يوستينوس، چاستن مارتر، (100م-165م) بأنّ كتّاب الكلمة المقدّسة هم بمثابة الفلوت الذي عزف عليه الله الموسيقى الإلهيّة.[103] ويقول القدّيس إكليمندس الرّومانيّ (150م-215م)، أحد الآباء الرّسوليّين، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "انكبّوا على دراسة الكتب المقدّسة التي هي منطوقات الرّوح القدس. فإنّكم تعرفون أنّ ما كُتب فيها ليس شيئًا خاطئًا أو محرّفًا."[104] ويقول القدّيس ترتليانوس (160م-220م) إنّ كلّ الكتاب المقدّس نافع...إنّ الكتب المقدّسة هي "الكلمات" و"الحروف" و"صوت الله الحقيقي."[105] أمّا القدّيس أوريجانوس (185م-254م) فقد آمن بأنّ الوحي امتدّ ليشمل الـ

---

[101] Alister McGrath, *Christian Theology: An Introduction* (Oxford: Blackwell Publishers, 1997), 211.

[102] Loraine Boettner, 10.

[103] Herman Bavinck, 404.

[104] Custer, 63.

[105] John H. Gerstner, "The Churches Doctrine of Biblical Inspiration," in *The Foundation of Biblical Authority*, ed. James Montgomery Boice (Grand Rapids: Zondervan, 1978), 27.

(iῶτα)[106] وكلّ الحروف.[107] والقدّيس إيرينايوس (ت. 202م) يقول: "لقد علّم المسيح بأوضح العبارات أنّ كلمات موسى هي كلماته هو. وبما أنّ هذا هو الحقّ، فينطبق بالتّبعيّة على كلّ كلمات الأنبياء الآخرين؟"[108] أمّا أثناسيوس الرّسوليّ (296م-373م) فيؤكّد: "إنّ الكتب المقدّسة مكتوبة بواسطة الله—تعالى، عن طريق أناس تكلّموا بلسانه."[109] ويقول القدّيس غريغوريوس، النّاطق بالإلهيّات، أو الثّيولوغوس (329م-390م) إنّه حتّى أصغر "خطّ" في الكتاب المقدّس فهو مكتوبٌ وفق عمل الرّوح القدس.[110] ويتحدّث القدّيس أغسطينوس (354م-430م)، في رسالته إلى القدّيس چيروم (347م-420م) متكلّمًا عن الأسفار القانونيّة، قائلًا: "لم يخطئ أيُّ كاتبٍ من كتّاب هذه الأسفار في أيّ شيء فيما كتب."[111] ويقول القدّيس توما الإكوينيّ (1225م-1274م) إنّ الله هو مؤلّف الكتاب المقدّس.[112] وفي عصر الإصلاح

---

[106] الحرف رقم 9 في الأبجديّة اليونانيّة، وأصغر حروفها كتابةً، انظر: " فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ (iῶτα) أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ (κεραία) مِنَ النّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (مت 5: 8).

[107] John H. Gerstner, 27.

[108] Custer, 63.

[109] René Pache, 234.

[110] Ibid., 233-234.

[111] Custer, 63.

[112] Robert Preus, 370.

الدّينيّ، يصرّح لوثر، قائلًا: "عندما تقرأ الكتب المقدّسة، لا بدّ وأن تدرك أنّ الله هو مَنْ يتكلّم."[113] ويقول في موضع آخر: "لم يخطئ الكتاب المقدّس البتّة."[114] وقد آمن لوثر بالوحي اللّفظيّ.[115] ويقول كالفن في **مبادئ الدّيانة المسيحيّة**: "كان الرّسل بمثابة الكتبة الحقّيقيّون الأصليّون لما قاله الرّوح القدس، ومن ثمّ يجب أن تُقبل كتاباتُهم على أنّها أقوال الله—تعالى."[116] وفي موضع آخر يقول: "[الكتاب المقدّس هو] القانون الأكيد الذي لا يخطئ."[117] ويقول أيضًا: "إنّ البرهان الأسمى على [صحّة] الكتاب المقدّس يأتي، بشكلٍ عامّ، من حقيقة أنّ الله، شخصيًّا، يتحدّث فيه."[118] بالنسبة إلى كالفن، فالكتاب المقدّس هو "القانون الإلهيّ الذي لا يخطئ....وهو الكتاب الذي لا توجد فيه أيّة أخطاء أو عيوب....وهو اليقين الذي لا يخيب....وهو النور الذي لا يخطئ....وهو كلمة الله المعصومة....وهو أقوال الله التي لا تخطئ."[119] حقًّا كان لكالفن تقديرٌ عظيمُ الشّأن لكلمة الله.

---

[113] Custer, 63.

[114] Ibid.

[115] Robert Preus, 377.

[116] Custer, 63.

[117] Clark Pinnock, 2.

[118] Calvin, *Inst.* I, VII, 4.

[119] John Gerstner, 391.

عقيدة الوحي في إقرارات الإيمان المُصْلَحة

كذلك، تمّ التّعبير عن عقيدة الوحي بطريقة واضحة جدًّا في العديد من إقرارات الإيمان المُصْلَحة، والتّي اهتمّت من يومها الأوّل بتوضيح عقائد المسيحيّة، بناءً على تقديرٍ عالٍ لكلمة الله. نلاحظ أوّلًا أنّ إقرارات الإيمان المُصْلَحة تسمّي الكتاب المقدّس "كلمة الله" ولا تقول عنه إنّه يحتوي "شهادةً عن كلمة الله." وليعذرنّا القارئُ على طول الاقتباسات من هذه النّصوص التّاريخيّة المهمّة.

يقول **اعتراف الإيمان في جنيفا** 1536م، في المادّة الأولى: "نؤكّد أوّلًا أنّنا نرغب في إتّباع الكتاب المقدّس وحده قاعدةً للإيمان والتّقوى دون أن نخلط معها أيّ شيء آخر من بدع البشر غير المتّفق عليها مع كلمة الله. ولا نقبل لإدارتنا الرّوحيّة أيّة تعليم لا تبلغنا إيّاه هذه الكلمة دون زيادة أو نقصان، بحسب وصيّة الرّبّ."[120]

أمّا **اعتراف الإيمان للكنيسة المُصْلَحة في فرنسا** (1559م) فيؤكّد، في معرض حديثه عن الإعلان: "هذا الإله يكشف ذاته للبشر: أوّلًا، في أعماله وفي خلقه إيّاهم وأيضًا في حفظهم وضبطهم؛ ثانيًا، وبشكل واضح، في كلمته التي أعلنها في

---

[120] جورج صبرا، **نؤمن ونعترف: كتاب العقائد للكنائس الإنجيليّة المُصْلَحة** (بيروت: كلّيّة اللّاهوت للشّرق الأدنى، 1990)، 35.

البدء في أقوال ثمّ دونت في كتب ندعوها الأسفار المقدّسة."[121] مرةً أخرى، نلاحظ أنّ الإقرار يسمّي الإعلان الخاصّ "كلمة" ليس هو كلمات أو "شهادة" عن الكلمة، بل كلمة الله. ويستطرد الإقرار قائلًا: "نعلم أنّ هذه الأسفار [الـ 66 القانونيّة] هي قانونيّة وهي دستور إيماننا الأكيد، ليس بسبب اجماع الكنيسة على قبولها بالدّرجة الأولى، بل بسبب شهادة الرّوح القدس الدّاخليّة التي تمكّننا من تميّز الأسفار المقدّسة عن كتب كنسيّة أخرى، التي وإن كانت مفيدة فإنّنا لا نستطيع أن نبني عليها مبادئ الإيمان."[122] وهنا يوضّح الإقرار، بطريقة لا لبس فيها، مصدر سلطة الكتاب المقدّس، إذ يقول: "نؤمن بأنّ الكلمة موجودة في هذه الأسفار منبثقة من الله ومنه وحده ينبع سلطانها، لا من البشر؛ وبقدر ما هي قاعدة كلّ حقّ إذ تحتوي على كلّ ما هو ضروريّ لخدمة الله ولخلاصنا لا يحقّ لأيّ إنسان، ولا للملائكة، أن يضيف عليها أو يزيل عنها أو يغيّرها. وبالتّالي لا يحقّ لأيّ سلطة سواء قامت على أساس الأقدميّة أو العرف أو العدد أو الحكمة البشريّة أو أحكام أو إعلانات أو مراسيم أو قرارات أو مجامع أو رؤى أو معجزات أن تتعارض مع هذه الأسفار المقدّسة. بل على العكس، إنّ هذه الأسفار هي المرجع الأساسيّ لفحص كلّ الأشياء وضبطها

[121] المرجع السّابق، 47.

[122] المرجع السّابق، 48.

وإصلاحها. ولذلك نحن نعترف بثلاثة قوانين للإيمان: قانون إيمان الرّسل وقانون الإيمان النّيقاويّ-(القسطنطينيّ) وقانون الإيمان الأثناسيّ لكونها تطابق كلمة الله."[123]

ويقول **اعتراف الإيمان الاسكتلنديّ** (1560م)، في الفصل الثّامن عشر: "فمسألة تفسير الكتاب المقدّس ليست شأن فرد خاصّ أو إنسان مسؤول، ولا شأن كنيسة بسبب أسبقيّة أو مكانة لها فوق غيرها—سواء أكانت مكانة شخصيّة أم جغرافيّة—وإنّما تفسير الكتاب يخصّ روح الله الذي به كتب. وحين ينشأ خلاف حول الفهم الصّحيح لأحد مقاطع الكتاب أو أعداده أو حول إصلاح مساوئ في كنيسة الله، يجب ألّا نسأل ماذا قال أو فعل البشر سابقًا، بقدر ما يجب أن نسعى لفهم ما يتكلّم به الرّوح القدس بانتظام في كلّ الكتاب وما فعله يسوع وأمر به."[124]

أمّا اعتراف الإيمان السّويسريّ (1566م)، والمعروف في الأوساط الأكاديميّة بـ"**اعتراف الإيمان الهلفيتيّ الثّاني**" (كلمة "سويسريّ" في اللّغة اللّاتينيّة هي "**هلفيتيّ**")، فيقول: "نؤمن ونعترف بأنّ الأسفار القانونيّة للأنبياء والرّسل القدّيسين في عهديهما (القديم والجديد) هي كلمة الله الحقّ، وأنّ سلطتها كافية

[123] المرجع السّابق، 48.

[124] المرجع السّابق، 74.

من ذاتها لا من البشـر. فإنّ الله ذاته كلّم الآباء والأنبياء والرّسـل، ومازال يكلمنا بواسـطة الأسـفار المقدّسـة. وتجد كنيسـة المسـيح الجامعة في هذه الأسـفار المقدّسـة الشّـرح الأوفى لكلّ ما يتعلّق بالإيمان المخلّص وبالحياة المرضـيّة لله. وفي هذا المجال قد أوصى الله بأن لا يضـاف إليها ولا يحذف منها شـيءٌ أبدًا."[125] ثم يقول الاعتراف: "لـذلك فإنّنا نعتقد بأنّ الحكمة والتّقوى الحقّيقيّتَين وإصـلاح الكنائس وإدارتها يجب أن تسـتمد من هذه الأسـفار، وكذلك كلّ واجبات التّقوى، وما يتعلّق بتثبيت العقائد ودحض الأخطاء...لذا فإنّنا نؤمن بأنّه حين يُكرز بكلمة الله في الكنيسـة، بواسـطة وعاظ قانونيّين، يكون ذلك إعلانًا لكلمة الله، وهكذا يقبلها المؤمنون. ولا يجوز أبدًا أن تُبتدع كلمة أخرى أو أن تُرجى من السّـماء....فإنّنا نعلم إنّها مشـيئة الله حقا أن يكرز بكلمته خارجيًّا أيضًا...."[126]

أمّا **إقرار الإيمان الويستمنستريّ** (1646م) فيقول، بعد أن تكلّم عن طرائق يستخدمها الله في الكشف عن ذاته: "سُرَّ الرّب قـديمًا بـأنواع وطرق كثيرة أن يعلن نفسـه وأن يصـرّح إرادته لكنيسـته، وفيما بعد لأفضـل محافظة على الحقّ ونشـره ولأكثر تأسـيس للكنيسـة وتقويتها ضـدّ فسـاد الجسـد وعداوة الشّـيطان

[125] المرجع السّابق، 123.

[126] المرجع السّابق، 124.

والعالم، أن يدوّن هذا الإعلان نفسه كلّيًا كتابةً...ممّا يجعل الكتاب المقدّس ضروريًّا جدًا...أؤمن بأنّه تحت اسم الكتاب المقدّس أو كلمة الله المكتوبة يتضمّن الآن كلّ كتب أو أسفار العهدين القديم والجديد التي هي...[الأسفار القانونيّة الـ66] وكلّها معطاة بوحي لتكون قانون الإيمان والحياة...أؤمن بأنّ الكتب التي عادةً تُسمّى أبوكريفة لكونها ليست من وحي إلهيّ، فهي ليست جزءً من قانون الكتاب ولذلك لا سلطان لها في كنيسة الله ولا يصادق على استخدامها، ولا تقبل بأيّ شكل أكثر من الكتابات البشريّة الأخرى...أؤمن بأنّ سلطان المكتوب المقدّس الذي لأجله ينبغي أن يؤمن به ويطاع لا يعتمد على شهادة أيّ إنسان أو كنيسة، ولكن كلّيًا على الله الذي هو الحقّ نفسه مؤلف المكتوب، ولذلك يجب أن نقبله لأنّه كلمة الله...أؤمن بأنّه قد نساق ونقتنع بواسطة شهادة الكنيسة إلى تقدير عالٍ محترم للمكتوب المقدّس وسماويّة مادته وفاعليّة تعليمه وجلال أسلوبه واتّفاق جميع أجزاءه وغرضه الكلّيّ الذي هو ليعطي كلّ المجد لله والكشف التّام للطّريق الوحيد لخلاص الإنسان والأفضال الكثيرة الأخرى التي لا نظير لها وكماله الكلّيّ هي حجج فيها فعلًا يبرهن نفسه أنّه كلمة الله. ولكن مع ذلك فإنّ يقيننا واقتناعنا الكاملين بالحقّ المعصوم وسلطانه الإلهيّ هما من العمل الدّاخليّ للرّوح القدوس الذي يشهد بالكلمة ومعها في قلوبنا."

أمّا **إقرار الإيمان الخاصّ بالكنيسة الإنجيليّة "المشيخيّة" في مصر**، فيقول في مادّة 3، كما سبقت الإشارة: "نؤمن بأنّ الكتب المقدّسة أي كتب العهد القديم والعهد الجديد هي كلمة الله، وكلّها موحي بها، لفظًا ومعنًى؛ وأنّ كتبتها وهم مسوقون بالرّوح القدس كتبوا بمقتضى نواميس العقل البشريّ؛ وأنّها نصّ مؤتمن للإعلان الذي أعلنه الله عن ذاته بمقتضى نعمته وهي تشهد للمسيح؛ وأنّها قانون معصوم للإيمان والأعمال والمرجع الأعلى ذو السّلطان للحقّ الإلهيّ الرّوحيّ." هذا النّصّ الإنجيليّ واضحٌ وضوح الشّمس في كبد السّماء، وهو مختصرٌ مفيدٌ مؤكّدٌ على المفهوم المُصْلَح لعقيدة الوحي.

أَوَلَيْس هذا ما يشعر به المؤمنون حين يقرؤون كلمة الله؟ ألا يحسّون بأنّهم واقفون أمام الله نفسه، الذي يتحدّث إليهم في كلمته؟! أَلَيْست هذه هي "شهادة الرّوح القدّس" الذي أوحى بالمكتوب؟![127] ألا يبكّت المكتوبُ المؤمنين، وينهض ذاكرتهم بما سبق وقاله المسيح—تبارك اسمه؟! ألا يتمثّل المسيح أمام أعين المؤمنين بقراءة الكلمة المقدّسة؟! وحتّى مع غير المؤمنين، ألا يفتح الرّوح القدس أعين هؤلاء، من خلال قراءة المكتوب، ويحضرهم

[127] J. Ramsey Michaels, "Inerrancy or Verbal Inspiration? An Evangelical Dilemma," in *Inerrancy and Common Sense,* ed. Roger Nicole, et al, (Grand Rapids: Baker Book House, 1980), 67.

إلى الإيمان بالمسيح؟! أَلَيْست هذه هي أكبر دلائل على أنّ هذا المكتوب هو كلمة الله، صاحبة القوّة المغيّرة؟!

إنّ الرّوابط بين الكلمة المكتوبة وبين الرّوح القدس لا تنفصل عراها، فالرّوح يعمل في ومن خلال الكلمة؛ ولا يعمل بمعزلٍ عن الكلمة أو بدونها. وهذا هو أحد مبادئ الفكر الكالفينيّ (*Testimonium spiritus sancti internum*)[128] يعبّر إبراهيم سعيد، في كتابه القيّم، **لماذا أؤمن؟** عن هذه الحقيقة، قائلًا:" الكتاب هو الصّلة التي تربطني بربّي. أحدّثه في صلاتي وأستمع لحديثه في سطور كتابه. لا فائدة من صلاتي إن لم تكن مؤسّسة على إرادة الله، ولا سبيل لي إلى معرفة إرادة الله، إلّا من كتاب الله."[129] هكذا، تأتي سلطة المكتوب، لا من الكنيسة بل من الرّوح القدس، صاحب المكتوب! فالكنيسة هي المطالبة بالخضوع للمكتوب، لا العكس.[130] يقول كالفن إنّ الكتاب المقدّس كتابٌ يُعتمد عليه، ليس بسبب شهادة الكنيسة أو ما شابه من أعمال أو تصديقات كنسيّة؛ فحقّ الله (كلمته) لا تحتاج على أيّ شهادة خارجيّة. السّلطة التي للكتاب المقدّس من الرّوح القدس نفسه.[131]

---

[128] Calvin, *Inst.* I, 7.

[129] إبراهيم سعيد، 6.

[130] R. C. Sproul, "The Internal Testimony of the Holy Spirit," in *Inerrancy*, ed. Norman Geisler, (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1979), 339.

[131] جون كالفن، 42.

اعتراضات على عقيدة الوحي الكلّيّ

لا يقبل كثيرٌ من النّاس عقيدة الوحي الكلّيّ—مع أنّهم يقرّون (أو على الأقلّ مستعدون أن يعترفوا) بأنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله، أو كما يحلو لبعضهم، متأثرين في ذلك بالأرثوذكسيّة الجديدة، تسمية الكتاب "شهادة" عن كلمة الله، أو الزّعم بأنّ الكتاب المقدّس "يحتوي" على كلمة الله، أو الزّعم بأنّ كلمة الله "موجودة" في الكتاب المقدّس.[132] ولسنا في محلّ تشكيكٍ في نوايا النّاس. فالنّوايا يعلمُها الله وحده! لكن يبدو غريبًا أنّ عددًا كبيرًا من أولئك الذين لا يقبلون بالوحي اللّفظيّ للكتاب المقدّس يسلّمون بالعصمة الجزئيّة. إن لم يكن الله، وهو الحقّ المطلق، الذي لا يكذب، صاحب هذه الكلمات المكتوبة في الكتب المقدّسة، فلا يلزم بالضّرورة أن تكون هذه الكلمات أصلًا دقيقة—لا في جملتها، ولا في أجزاءها. هي في النّهاية كلمات بشريّة، ممكن جدًّا أن تخطأ هنا أو هناك.

أصحاب العصمة الجزئيّة يقولون إنّ الكتب المقدّسة هي نتاج خبرات بشريّة في أجزاء كثيرة منها، الأمر الذي يتّضح فيما تكلّمت عنه الكتب المقدّسة بشأن التّاريخ والجغرافيا والعلوم وما شابه. وليس من المعقول أن تكون هذه المعلومات التي مضت عليها آلاف السّنين دقيقة. وإذ يقارن هؤلاء معطيات العلم الحديث مع

[132] Hugh Martin, 34.

بعض ما يقوله الكتاب المقدّس، وما أن يجدوا بعض الصّعوبات في مصالحة الاثنين، أو فهم بعض نصوص الكتب المقدّسة، فإنّهم يستنتجون، سريعًا، أنّ الكتاب المقدّس لا يمكن أن يكون معصومًا في غير الأمور الدّينيّة، يكفيه أن يكون على صواب فيما قاله بشأن العلاقة بين الله والإنسان. هذا هو موقف العصمة الجزئيّة. ولكن هل هذا استنتاج دقيق؟ ألا يمثل انتقاصًا من قدر كلمة الله؟

كما سبقت الإشارة، هذا التّوجه جدُّ خطيرٌ ذلك لأنّه يُخضع كلمة الله لحكم الإنسان، الذي صار صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في تحديد ما "هو معصوم" وما هو "غير معصوم." إنّ تسلّط الإنسان على كلمة الله على هذا النّحو يعكس بالتّمام والكمال ما حدث، قديمًا، في سفر التّكوين، يومَ تشكّك الإنسانُ في كلمة الله، وتبع نفسه وحكمه على الأمور. وكانت النّتيجة مدمرة. لقد أعطى الله كلمته للإنسان لا ليحكم عليها، بل لتصير هي نهجًا يسير عليه الإنسان، وتتشكّل حياته وسلوكه وعبادته بموجبها.

يعبّر مارتن لويلد جونز عن هذه الموجة من الانتقادات الموجهة إلى الكتاب المقدّس، مؤكّدًا أنّ موجة اللّيبراليّة القديمة والفكر العصريّ وحركة النّقد العالي ما عادت تُسمع أصواتُها. بل أخذت هذه الانتقادات ثوبًا جديدًا، ربّما يكون أكثر ملائمةً للعصر الحالي، الذي يسمّيه (post-critical situation) إذ ينادي كثيرون بأنّ ما

يهمّ هو "رسالة" الكتاب المقدّس، لا أكثر.[133] أَلَيْس المهم هو أن نقبل رسالة الكتاب المقدّس ونؤمن بالله؟ ما حاجتنا إلى التّفصيلات الصّغيرة أو الحقائق الثّانويّة في الكتاب المقدّس؟ هل من الأهمّيّة بشيءٍ أن نؤمن بتاريخيّة الأحداث الكتابيّة؟ ألا يكفي أن نقبل رسالتها الرّوحية؟[134] ألا يكفينا أن نؤمن بحدث المسيح، الذي هو لبّ الكتاب المقدّس؟

نحن نفترض "حُسن النّيّة" في أولئك الذين ينادون بمبدأ العصمة الجزئيّة، فاللّاهوتيّ الشّهير كارل بارت (1886م-1968م)، الذي يعدّ الممثّل الأعظم لفكر الأرثوذكسيّة الجديدة، يؤمن بالعديد من العقائد التّاريخيّة المسيحيّة، لكنّه يرفض عصمة الكتاب المقدّس الكلّيّة، ويقول بإنّ الكتاب المقدّس فيه "إمكانية الخطأ" وهو ليس معصومًا في أجزاءه التّاريخيّة، وربما الدّينيّة أيضًا.[135]

---

[133] D. Martyn Lloyd-Jones, *Authority* (Chicago: Inter-varsity Press, 1958), 34.

[134] Ibid.

[135] J. I. Packer, "Encountering Present-Day Views of Scripture," in *The Foundation of Biblical Authority*, ed. James Montgomery Boice (Grand Rapids: Zondervan, 1978), 72.

يقول إلياس مقار، في هذا الصّدد: "والرّأي الثّالث العصريّ الذي ينادي به كارل بارت وإميل برونر....يقوم على ما يطلق عليه اللّاهوت المنطقيّ، والذي يعتقد أنّ الكتاب المقدّس يصبح كلمة الله على قدر ما يأخذ الإنسان هذه الكلمة موجهةً إليه مباشرةً. وهذا الرّأي يقول إنّ كلمة الله في الكتاب المقدّس تقوم على أساس أنّها الخطاب المباشر للإنسان، لأنّ الله ليس سلبيًا أو

وما من شـــكٍّ في أنّ العديد من لاهوتيّ الأرثوذكســيّة الجديدة حاولوا الانفلات من الحركة اللّيبراليّة التي هاجمت العقائد المسيحيّة الكلاسيكيّة، غير أنّهم، في فعل ذلك، وقعوا هم أنفسُــهم في بعض المغالطات اللّاهوتيّة الجســيمة.[136] فقد رفض ردولف بولتمان (1884م-1976م)، على ســبيل المثال، العديد من تاريخيّة تعاليم الكتاب المقدّس "القديمة" ودعا إلى قبول ما يتّفق مع العلم فقط،[137] قائلًا بأنّ "الأســاطير" القديمة التي وجدت طريقها إلى الكتاب المقدّس لا تصــلح لمعرفة الله، ويجب ألّا نؤمن بها في العصر الحالي.[138]

ولكن هذا لا يعني أنّ هناك مَنْ لا يرؤن في الكتاب المقدّس أيّة عصــمة على الإطلاق، لا في المحتوى اللّاهوتيّ ولا في

صامتًا بالنسبة للبشر. بل يتحدّث إليهم ويتكلّم. فكلمة الله عند بارت ليست حالة موضوعيّة، وليست شيئًا يمكن أن تضع يدك عليه وتقول: "هذه كلمة الله." إنّ الكتاب المقدّس عند بارت، هو كلمة الله على قدر ما يتكلّم الله فيها إلى الإنسان. ومع أنّ كارل بارت يعتبر نفسه محافظًا وعدوًا لدودًا للآراء العصريّة والطّبيعيّة المادّيّة، وجماعته تطلق على نفسها "الأرثوذكسيّة الحديثة،" إلّا أنّه في عُرف الكثيرين من المحافظين يمثّل تيّارًا عصريًّا، إذ أنّ كلمة الله في كلّ مشتملاتها التّاريخيّة والعلميّة والنّبويّة والتّعليميّة هي وحيُ الله—سواء كانت حالة موضوعيّة، أو كانت خطابًا مباشرًا يوجّه إلى النّفس البشريّة أو يشهد عليها!" انظر إلياس مقار، **إيماني** (القاهرة: دار الثّقافة، 1977)، 265.

[136] J. I. Packer, *Truth and Power*, 115.

[137] Ibid., 119.

[138] Norman Geisler and William Nox, *From God to Us* (Chicago: Moody Press, 1987), 20.

غيره. عند هؤلاء الكتاب المقدّس لا يزيد عن كونه كتابًا يجمع خبرات دينيّة لشعوب قديمة. ويقولون إنّه لا يمكن أن يكون الحقّ الإلهيّ مدوّن في كتاب قديم، وضع في قرينة يهوديّة. الحقُّ عندهم هو اكتشاف عمل الرّوح القدس في وسط الجماعة من خلال خضوع كلّ شيء للعقل البشريّ.[139] ولا يفوتنا في هذا المجال أن نقول إنّ الحقّ بالنّسبة لأصحاب هذا الرّأي لا يمكن إدراكه عن طريق أيّ نصّ أصلًا، بل الحقّ هو "وعيٌّ" بالله![140] إنّنا لا نتعامل مع هذا الرّأي الفاسد، في هذا الكتيّب. بل هدفنا الأوّل هو استبيان حقيقة وحي الكتاب المقدّس، بحسب الرّأي المُصْلَح التّاريخيّ القائل بالوحي الكلّيّ (الوحي المطلق، أو الوحي اللّفظيّ، أو الوحي الحرفيّ).

لكنّنا ننوّه إلى أمرٍ آخر. ترتبط تعاليم أخرى بقضيّة الوحي الجزئيّ أو العصمة الجزئيّة، ألا وهي تصنيف البعض لأجزاء من الكتاب على أنّها من وحي الله وفي المقابل تصنيف أجزاء أخرى على أنّها من وحي الإنسان. علينا أن نؤكّد على كلمات الوحي المقدّس القائلة بأنّ "كلّ" الكتاب هو موحى به من الله، وليس أجزاء منه. كلُّ ما جاء في الكتاب من كتابات نثريّة، أو شعريّة، أو صلوات، أو أحداث تاريخيّة، أو احصائيّات، أو رؤى، أو أحلام، أو

---

[139] J. I. Packer, "Encountering Present-Day Views of Scripture," 67-68.

[140] Ibid., 69.

نبوءات، أو عظات، أو رسائل، أو أيّة أنواع أدبيّة أخرى—كلّ هذه هي كلمات موحى بها من الله؛ وهي أيضًا كلمات أناس الله القدّيسين بالتّمام والكمال. الكتاب المقدّس ليس كتابًا يعمل فيه الله بنسبة 50 في المئة، والإنسان بنسبة 50 في المئة؛ لكنّه كتاب إلهيّ 100 في المئة، وكتابٌ إنسانيّ بنسبة 100 في المئة. وعلينا أن نقبل هذه النّصوص جميعها بالشّكر وروح الخضوع.[141] كما يجب أن يكون خضوعنا للكتاب المقدّس خضوعًا كلّيًّا، ذلك لأنّ الكتاب المقدّس "بكُلّيّته" هو كلمة الله، ولا يجوز أن ننتقي ما نخضع له وما نرفضه.[142]

وبشأن أمر الخضوع للكتاب المقدّس، علينا أن نتأمّل قليلًا في "مصدر" الكتاب المقدّس، الرّوح القدس. إنْ كان الرّوح القدس حقًّا هو مؤلّف الكتاب المقدّس، فيجب علينا أن نخضع. هذا المنطق هو ما استخدمه المسيح في حديثه مع رؤساء الكهنة وشيوخ الشّعب، كما هو مدوّن في بشارة القدّيس متّى والإصحاح الحادي والعشرين، حيث نقرأ: "وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْهَيْكَلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ، قَائِلِينَ: "بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا؟ وَمَنْ أَعْطَاكَ هذَا السّلْطَانَ؟" فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: "وَأَنَا أَيْضًا أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، فَإِنْ قُلْتُمْ لِي عَنْهَا أَقُولُ لَكُمْ أَنَا

---

[141] Packer, *Truth and Power*, 5, cf. Archibald Hodge, and Benjamin B. Warfield, 26.

[142] D. Martyn Lloyd-Jones, 44.

أَيْضًـا بِأَيِّ سُـلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا: مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّـمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟" فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِـهِمْ قَائِلِينَ: "إِنْ قُلْنَا: مِنَ السَّـمَاءِ، يَقُولُ لَنَا: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، نَخَافُ مِنَ الشَّـعْبِ، لأَنَّ يُوحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ مِثْلُ نَبِيٍّ. "فَأَجَابُوا يَسُـوعَ وَقَالُوا: "لاَ نَعْلَمُ." فَقَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضًا: "وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا" (مت 21: 25-27). العلاقة واضحة جدًّا في هذا النّصّ بين المصدر والسّلطة. وهذا المنطق ينطبق بالتّمام والكمال على الكتاب المقدّس.[143] وتظهر هذا العلاقة بطريقة عكسـيّة في كلمات الأنبياء الكذبة، التي لا تأتي من مصـدرٍ إلهيّ. يقول الوحي المقدّس على لسـان إرمياء: "لاَ تَغُشَّـكُمْ أَنْبِيَاؤُكُمُ الَّذِينَ فِي وَسَـطِكُمْ وَعَرَّافُوكُمْ، وَلاَ تَسْمَعُوا لأَحْلاَمِكُمُ التِي تَتَحَلَّمُونَهَا" (إر 29: 8).[144]

ولكن ماذا عمّا يُثار من اعتراضـات حول تعريفنا للوحي الكلّيّ في ضـوء حقيقة أنّ الكنيسـة المسـيحيّة لا تملك اليوم أيّة نسخة أصليّة (autographs). نعم، ليس لدينا أيّة نسـخة أصليّة من مخطوطات الكتاب المقدّس الموحى بها، ولم يكن لدى أيّ مسـيحيّ عاش في قرون قريبة أيّة نسـخة أصـليّة من نصـوص الكتب المقدّسـة. ولكن هل نفقد ثقتنا في كلمة الله بسـبب هذا الأمر؟[145]

---

[143] G. C. Berkouwer, 143.

[144] Ibid., 144.

[145] Albertus Pieters, *Can We Trust Bible History?* (Grand Rapids: Society for Reformed Publication, 1954), 27.

بكلمات أخرى، إن كان الوحي وحيًا كلّيًا في المخطوطات الأصليّة للكتب المقدّسة، وإن كانت هذه المخطوطات ليست بموجودة، فهل يمكن أن نستمر في القول بأنّ عقيدتنا في الوحي هي "الوحي الكلّيّ"؟ وقبل أن نجيب على هذا السّؤال، علينا أن نفكّر قليلًا فيما يمكن أن نسمّيه علاقة المخطوطات الأصليّة بالنسخ التي تلتها.

أوّلًا، علينا أن نتذكّر أنّ تعدديّة الشّهادات النّصّيّة، مع اقرارنا باختلافها في تفصيلات غير جوهريّة، لهو دليل أكيد على أنّ محتوى النّصّ صحيح. لقد شهدت نسخ كثيرة في قرائن متعدّدة لنفس الحقّ—الأمر الذي يشير، بمساعدة علم نقد النّصوص، إلى النّصّ الأصليّ. ويشبه هذا الأمر شهودًا أتوْا إلى المحكمة ليدلوا بشهادتهم بشأن حادثٍ معين. سيختلفون، بالتّأكيد، في ذكر تفاصيل فرعيّة، لكنّهم سيؤكّدون، بجملتهم وبشهادتهم الجمعيّة على وقوع الحاث. إنّ تعدديّة الشّهادات النّصّيّة لهي أكبر دليل على أنّ نصًّا أصليًّا يَمْثُل أمامنا، بدرجة عالية جدًّا من الدّقة.

ثمّ، لا يفوتنا، كما ستأتي الإشارة، إلى أنّ أخطاء النّساخ قابلة للتّصحيح؛ فهي ليست أخطاء أبديّة. لقد أسهم علم نقد النّصّوص الكتابيّ في الوقوف على ما يبدو أنّه "النّصّ الأصليّ." لنفكّر للحظة في حجم وحدة القياس "الكيلومتر المربّع" معروف أنّ حجم الكيلومتر المربّع (كم^2) تبلغ 1,000.000 م^2. لو ذكر

أحدهم أنّ حجم جمهوريّة مصـــر العربيّة يبلغ 1,005.000 كم^2 بـدلًا من 1,002.000 كم^2، ســـنقول لـه على الفور "هـذا خطأ." كلامنُا صحيحٌ، وكلامُه خطأ يلزم تصـــحيحه؛ أمّا إذا اكتشـفنا أنّ الحجم الحقيقيّ للكيلومتـــر المربع يبلغ 2,000.000 م^2، فسيكون لهذا الاكتشـــاف عظيم الأثر في طريقة فهمنا للمســـافات. هذا ما نقصـد بخطأ النّسـاخ. افتراضـنا الأوّليّ هو أنّ الله لا يكذب، ولكن وقع النّسّاخ في أخطاء نسخيّة تسبّبت فيما لدينا اليوم من قراءات متباينة للنّصّ. ما علينا القيام به هو العمل بجدّيّة على فهم نقد النّصّوص وتصديق استنتاج هذا العلم الذي يضع أمامنا أكمل ما يمكن أن يوصف بأنّه "النّصّ الأصليّ."

هذا العلم هو في الواقع ليس في تضـــادٍ مع الإيمان بوحي الكتاب المقدّس الكلّيّ. بل تمثّل القراءات المتباينة التي يضـــعها أمامنا "قوّة مبنيّة على التّعدديّة" في النّصّ.[146] إنّنا مطالبون بأن نسـخّر هذا العلم للوقوف على أدق وأقرب القراءات للنّصّ الموحى به من الرّوح القدس.[147]

جدير بالذّكر أيضًـــا أن ننبّر على أنّ أخطاء النّسّـــاخ لم تكن "سـرًّا" اكتشـفه المحدثون أو المعارضـون لصـدق كلمة الله، بل

---

[146] Douglas Stuart, "Inerrancy and Textual Criticism," in *Inerrancy and Common Sense, ed.* Roger Nicole, et al, (Grand Rapids: Baker Book House, 1980), 110.

[147] Ibid., 111.

هو أمر معروف قديمًا، فالقدّيس أغسطينوس نفسُه، في خطابٍ أرسله للقدّيس چيروم (عام 405م تقريبًا)، يتحدّث عن هذه القضيّة.[148] لربّما سمح الله في عنايته الخاصّة أن تُفقد المخطوطات الأصليّة حتّى لا يُجرّب النّاس، ويقدّموا لها التّقديس والإجلال، اللّائق بالله وحده.[149]

نعود الآن للإجابة على السّؤال المطروح سابقًا بشأن عدم وجود أيّ نصٍّ أصليّ (autographs). يجب أوّلًا أن ننتبه إلى أمر مهمٍّ وخطير. إنّ أيّ افتراضٍ بوجود فرقٍ جوهريٍ أساسيٍّ بين ما هو بين أيدينا اليوم من نسخ للكتب المقدّسة أو مخطوطات قديمة أو ترجمات قديمة أو ترجمات معاصرة لهو افتراض مدّمر. فالزّعم بوجودِ بَوْنٍ شاسعٍ بين ما كان وما هو متاحٌ بين أيدينا معناه أنّنا فقدنا الحقّ المُعلن (قديمًا) في الكتب المقدّسة، وينتج عن ذلك أنّ ما بين أيدينا ليس هو بالضّرورة كلام الله، بل هو كلام الإنسان الذي صاغه ليعبّر عن كلام الله الذي كان وزال! هذا معناه أنّ معرفتنا ليس معرفة "حقّ" بل هي معرفة صياغات بشريّة، وخبرات إنسانيّة، لا أكثر. إنّ معرفة الله الحقّة تنتفي بهذا الزّعم. كيف لنا أن نتأكّد من أيّ شيء عن الله وعن أمر خلاصنا،

---

[148] St. Augustine, *Letter 82.3*, NPNF, vol. 1, 350, available at: https://www.ccel.org/ccel/schaff/npnf101.vii.1.LXXXII.htm

[149] Roger Nicole, "The Nature of Inerrancy," in *Inerrancy and Common Sense, ed.* Roger Nicole, et al, (Grand Rapids: Baker Book House, 1980), 75-77.

إنْ سلّمنا بوجود هوّة عظيمة تفصلنا عن النّصّ الأصليّ. كيف نعرف إرادة الله، إذن؟[150]

يعرف كلُّ لبيبٍ كيف يرتبط الكتاب المقدّس كلّه بوحدة عضويّة وموضوعيّة، وكيف أنّ الكتاب المقدّس، الموجود بين أيدينا "آية في الدّقّة[151]" مع اقرارنا الكامل بوجود عدد من الصّعوبات النّصّيّة التي أتت إلينا بسبب أخطاء النّسّاخ.[152] هذه الصّعوبات النّصّيّة ليست محفوظة في حجرة في إحدى البيع أو الأديرة. بل هي متاحة في عدد من المراجع الأكاديميّة، للدّراسة والفحص. ودراستها الأمينة تؤكّد، بما لا يدع مجالًا للشّكّ، أنّ النّسّاخ كانوا على قدرٍ عالٍ من الحرص والأمانة، وأنّ ما بين أيدينا هو أقرب ما يكون إلى ما كان يومًا معروفًا ككلمة الله المعطاة بوحي لأناس الله القدّيسين. فلا يعني وجود تباين بين النسخ أنّنا بلا "كلمة الله!"[153] فالله لا يترك "كنيسته" بدون "كلمته."

كما يجب أن نضع قضية "الأخطاء" في نصابها، بمعنى أن ننظر إليها في ضوء الصّورة الأكبر، فإن صادفتنا يجب أن نراها في

---

[150] إدوارد يونج، 68.

[151] المرجع السّابق.

[152] James Archer, "The Witness of the Bible to its Own," in *The Foundation of Biblical Authority*, ed. James Montgomery Boice (Grand Rapids: Zondervan, 1978), 85.

[153] Louis Berkhof, 50.

ضوء العدد الهائل من المعلومات اللّاهوتيّة وغير اللّاهوتيّة الواردة في 66 سفرًا يشكّلون معًا الكتب المقدّسة. وبالتّالي، فوجود بعض "الأخطاء" في النّسخ لا يمكن أن يكون عيبًا إطلاقًا في كلمة الله الموحى بها، بل بسبب العنصر البشريّ، النّسّاخ. "ومع ذلك فالتّطابق العامّ بين النّسخ المتعدّدة يكشف عن روعة واعجاز العناية الإلهيّة في حفظ الكتاب على الدّقّة التي وصل إلينا بها."[154]

يقول العلّامة اللّاهوتيّ تشارلس هودج (1797م-1878م)، والذي عمل وكيلًا لكلّيّة لاهوت پرنستون في منتصف القرن التّاسع عشر: "إنّ تصور أنّ هناك تعارضًا بين الكتّاب وأنفسهم أو بينهم وبين غيرهم من الكتّاب يمكن الرّدّ عليه لا في مجلّدٍ واحدٍ بل في مجلّدات متعدّدة، فثابتٌ أنّه ظاهريّ فقط، ويكفي أن نشير هنا في عجالة إلى 1) أنّ هذا التّعارض الظّاهريّ، حتّى وإن تعدّد، لا يمسّ الأصل بتاتًا، بل إنّه ينصرف مرّات كثيرة إلى أعداد أو تواريخ؛ 2) إنّ الغالبيّة العظمى فيه تحلّ بالامتحان والفحص الدّقيق؛ 3) إنّ الكثير منها يرجع إلى أخطاء في النّسخ في بعض المخطوطات؛ 4) غير أنّ وجه الاعجاز والعجب أنّ قليلًا منها هو الذي يمكن أن يثير الانتباه. فإذا ذكرنا أنّ مجموعة أسفار الكتاب المقدّس كتبها كتّابٌ مختلفون وهم رجالٌ متباينو الثّقافة، وعاشوا في عصور مختلفة ما بين ألف وخمسمائة وألفين من

[154] إدوارد يونج، 69.

الأعوام، وعلى هذا التّوافق العجيب، فإنّه ليس هناك من تصــوّر لآخر يمكن أن يخالج النّفس ســوى أنّهم منقادون بروح الله عندما كتبوا."[155] وإن جاز تسمية الأخطاء التي اعتــرت النّســخ المأخوذة عن النّســخ الأصليّة (autographs) "فسادًا،" فهو قليل إلى أبعد حدٍّ. فلا يوجد خلاف جوهريّ بين تلك النّســـــخ وبين ما كان يومًا المخطوط الأصليّ[156]—إلّا إذا كان النّاقد مستعدًا أن يصدّق زعمًا بأنّ الهوّة بين النّصّ الأصــليّ وما نملكه الآن هوّة عظيمة لا يعبرها أحد من النّاس؛ وأنّ النّصّ الأصــليّ فُقِدَ إلى الأبد! إنّ عدم وجود مخطوطٍ أصــليّ (من المخطوطات الأصــليّة الموحى بها) لا يعني أنّ الوحي مفقودٌ ولا طريق لنا إلى معرفة الله. كما يجب على الذين يحاجّون بأنّ المخطوط الأصليّ المعصوم مفقود، وبالتّالي فعقيدة الوحي اللّفظيّ لا يمكن أن تســتقيم، أن يتذكّروا أنّه لم يأتِ أحدٌ بمخطوطٍ أصليّ غير معصوم، أيضًا![157]

لكنّنا نعرف، معرفةً يقينيّة، أنّ الله لا يكذب (عد 23: 19)، وبالتّالي فكلمته للإنســـان، عن طريق الإنســـان، لا بدّ وأن

---

[155] Charles Hodge, *Systematic Theology* (Grand Rapids: Eerdmans, 1952), 178-179.

مقتبس في إدوارد يونج، **أصالة الكتاب المقدّس**، ترجمة إلياس مقار (القاهرة: دار الثّقافة، 1990)، 69-70.

[156] Clark Pinnock, 16.

[157] Norman Geisler, 15.

تكون معصومة وصحيحة في كلّ ما تكلّمت عنه، إذ هي في نهاية المطاف، كلمته—جلّ ثناؤه.

أمام عددٍ من الصّعوبات الموجودة في الكتاب المقدّس، لنا خياران: إمّا أن نرفض وحي الكتاب المقدّس، وبالتّالي عصمته، أو أن نحاول أن "نصارع" مع هذه الصّعوبات حتّى نفهمها، ولو بعد وقتٍ وجهدٍ. ولا شكّ في أنّ هناك الكثير من التّعاليم في الكتب المقدّسة التي يصعب على الذّهن البشريّ قبولُها، ويعجز العقل البشريّ على سبر غورها، كالتّثليث مثلًا. فهل نَحَّت الكنيسة، عبر ألفي عام، هذه العقيدة الجوهريّة، جانبًا بسبب صعوبتها؟ لا، بل جاهدت الكنيسة بكلّ قوّتها، بالصّلاة والدّراسة، حتّى تستوعب هذه التّعاليم الأساسيّة في الإيمان المسيحيّ.

مرّةً أخرى، علينا نشكر الله من أجل علم نقد النّصوص الكتابيّ، الذي يُعنى بالوقوف على أدقّ وأقدم القراءات، من خلال فحصٍ دقيقٍ وشاقٍّ جدًّا لعددٍ كبيرٍ من المخطوطات والنّسخ والشّهادات النّصّيّة.[158] علم نقد النّصوص الكتابيّ يعمل به متخصّصون في مجال اللّغة العبريّة واليونانيّة (وكذا الآراميّة) وعلم الآبائيّات، حيث تعدّ اقتباسات آباء الكنيسة الأوائل شهادة قديمة على اقتباسات مختلفة من الكتاب المقدّس. حدّد لنا هذا العمل الشّاقّ أدقّ القراءات، بدقّةٍ متناهيةٍ، ووفّر للكنيسة نصًّا

[158] Custer, 88.

هو أقرب ما يمكن للنّصّ الأصليّ (العبريّ والأراميّ واليونانيّ). وليس هذا معناه أنّ القراءات المغايرة أو المتنوّعة (وعددها ليس بالقليل) انتهت. لا. بل في الواقع ينبّر علم نقد النّصّوص الكتابيّ على هذه القراءات المتنوّعة، ولا ينكرها. وهناك علماء بارعون في هذا المجال تركوا لنا أعمالًا أكاديميّة مرموقة.[159]

ولكن نعود للتّأكيد مرّة أخرى على أنّ هذه القراءات المتنوّعة في مخطوطات الكتاب المقدّس لا يوجد فيها بَوْنٌ جوهريٌّ بالمرّة.[160] كلّها تعبّر عن نفس الحقّ، ولكنّها تتباين، مرّات، في بعض التّفصيلات، لا في الفكر الجوهريّ الذي تتحدّث عنه. فالباحث الجادّ الذي يقف على قراءة الحواشي النّقديّة لنصّ العهد القديم (*Biblia Hebraica Stuttgartensia*)؛[161] ونصّ العهد الجديد (*Novum*

---

[159] انظر على سبيل المثال، لا الحصر:

McCarter, P. Kyle. *Textual Criticism: Recovering the Text of the Hebrew Bible*. Philadelphia: Fortress Press, 1986; Metzger, Bruce M., and Bart D. Ehrman. *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration*. New York: Oxford University Press, 2005; Tov, Emanuel. *Textual Criticism of the Hebrew Bible*. Minneapolis: Fortress Press, 1992; Weingreen, J. *Introduction to the Critical Study of the Text of the Hebrew Bible*. Oxford: Clarendon Press, 1982.

[160] Albertus Pieters, 28-29.

[161] والمشار إليه في الأوساط الأكاديميّة بحروف *BHS*، والذي يحوي قراءةً نقديّة للنّصّ المازوريّ للعهد القديم، كما جاء في مخطوطة للنجراد، وهي أكمل مخطوط للعهد القديم، حيث يعود تاريخها لعام 1008م، وهي محفوظة في المكتبة الوطنيّة الرّوسيّة، وهي الطّبعة الرّابعة ممّا كان معروفًا بـ *Biblia Hebraica*، والمشار إليها في الأوساط الأكاديميّة بحرفي *BH*

Testamentum Graece)[162] يدرك أنّه واقف أمام أقرب ما يكون للنّصّ الأصـليّ، ويدرك في ذات الوقت كيف حافظ الرّوح القدس على كلمة الله حتّى تصـل إلى الإنسـان كما أراد الله.[163] يجب أن نلاحظ أيضًـا أنّ ثمّة فارقًا كبيرًا جدًّا بين نصٍّ اعتراه الخطأ وقت كتابته (أي أنّه كان على خطأٍ يوم كتب) ونصٍّ اعتراه خطأ وقت تمّ نسـخه (أي أنّ بعض النّسّاخ جانبهم الصّواب في نسـخ بعض كلماته).[164] الكتاب المقدّس كلمة الله المعصـومة من الخطأ في مخطوطاته الأصليّة، لا في نسخه وترجماته اللّاحقة.

هذا يقودنا لاسـتنتاج مهم، لا يقبل به كثيرون، أحيانًا. الاستنتاج هو أنّ الكتاب المقدّس الموجود بين أيدينا الآن، في اللّغة العربيّة مثلًا، هو كلمة الله لنا—بعد أن نتحقّق من دقّة التّرجمة وصحتها. ولا أعلم لماذا يرفض البعض هذا الاستنتاج، لكنّ الواقع يقول بوجود هؤلاء الذين يتخيّلون أنّ الكتاب المقدّس، في اللّغة العربيّة، مثلًا، ما هو "تقرير" عن كلمة الله أو "شهادة" عنها؛ فكلمة

والتي أشرف على انتاجها وتحريرها العالِم الألمانيّ رودولف كيتل (1853م-1929م) ونشرتها دار الكتاب المقدّس الألمانيّة، في مدينة شتوتغارت.

[162] المشار إليه في الأوساط الأكاديميّة ب: *Nestle-Aland*، نظرًا للدّور المحوريّ الذي لعبه العالِمان إبرهارد نسله (1851م-1913م) وكيرت ألاند (1915م-1994م) في تحرير هذه النّسخة.

[163] James Archer, 87.

[164] Ibid., 88.

الله بالنّسبة لهم "مفقودة" ولا سبيل إلى الوصول إليها. لكنّنا نقول، بثقةٍ مبنيّةٍ على أسسٍ لاهوتيّةٍ وأكاديميّةٍ، إنّ الكتاب المقدّس المترجم في أيّة لغة يقرأها شعب الربّ في أيّة دولة هو بالفعل كلمة الله الموحى بها، القادرة أن تشهد للمسيح، وتقود مختاري الآب إليه.

كما نذكر في هذا المجال أمرًا آخر في غاية الأهمّيّة، بل الغَرَابة. كثيرون ممَنْ يعترضون على عقيدة الوحي اللّفظيّ لا يعترضون على التّفسير النّصّيّ المبني على المعاني الأصليّة للكتاب المقدّس. وحسنًا يفعلون. ولكن ألمْ يخطر في بالِ هؤلاء، يومًا من الأيام، أنّه لا طائل من دراسة معاني كلمات تفوّه بها أناس موهوبون، إنْ لم يكن لهذه الكلمات أصلٌ إلهيٌّ. فما هي فائدة صرف الوقت والمجهود في الوقوف على معرفة معنى كلمة عبريّة تحدّث بها شخصٌ يهوديٌّ منذ آلاف السّنين قبل الميلاد؟ وما هي أهمّيّة فهم معنى كلمة يونانيّة تحدّث بها لوقا في سفر أعمال الرّسل، مثلًا؟ كلّ هذا مصيرُه مهبّ الرّيح، ولا طائل منه، إن لم نؤمن بعقيدة الوحي الكلّيّ الحرفيّ. وما فائدة علم التّفسير النّصّيّ-اللّغويّ، أصلًا؟ كلّ هذه المحاولات التي يبذلها العلماء تصير بلا جدوى إن لم نقبل عقيدة الوحي اللّفظيّ.

يجدر بكلّ مَنْ ينكر عقيدة الوحي الكلّيّ أن يتوقّف عن بذل المجهود الشّاقّ في الوقوف على معاني الكلمات باللّغات

الأصـليّة، ويكتفي بمحاولة اكتشـاف "الحقّ" المنزوع من الكلمات التي أوصلته إلى الإنسـان، مكتوبًا بأيّة لغة كانت. ثمّ، كيف نعرف أنّ ما نعرفه عن الله، بحسـب سـفر دانيال مثلًا، هو بالحقّ الله، وليسـت أفكار شـخصٍ مُلهمٍ اسـمه دانيال؟ وهل يمكن أن يأتي ملهمٌ آخر عام 2020 ويكتب عن شـخصيّة الله ما يبدو أنّه أسمى ممّا نقرأ في سـفر دانيال؟ وإن كتب أحدهم أقوالًا جميلة عن الله، فلما لا نترك ما هو في الأسفار القانونيّة ونعتمد كلماته نصًّا بديلًا؟ إنّ إنكار الوحي الكلّيّ للكتاب المقدّس يفتح الباب على مصـراعيه أمام الحابل والنّابل أن يزعم أنّ ما يقوله "موحى" به. إنّنا نقرّ بأنّ معرفتنا الكافية للخلاص تأتي من هذه الكلمة المكتوبة فقط، ولا سـواها! معرفتُنا بالله تأتي إلينا في كلمته، والمسـيح هو مسـيح-المكتوب، وليس مسيحًا خياليًّا خاضعًا لتصورات النّاس.[165]

والآن...

إنّ التّقليل من قيمة المصدر الإلهيّ للكتاب المقدّس، والنّظرة إليه على أنّه مجموعة من التّعاليم الدّينيّة المفيدة التي كتبها رجال أتقياء بهدف ارشـاد النّاس إلى طريق الله أمرٌ جدُّ مدمرٌ. لماذا؟ إنّ مثل هذه النّظرة تقودنا في نهاية المطاف إلى "إخضـاع" الكتاب المقدّس للإنسـان وحكمه على الأمور، وتمنح البشـر قدرةً على

[165] G. C. Berkouwer, 33.

الحكم على كلمة الله، والتّعامل معها بشكلٍ انتقائيّ. هنا نرى الكتاب خاضعًا للفكر البشريّ. وهذا ما جعل البعض يتعاملون مع الكتاب المقدّس كأيّ نصٍّ تاريخيٍّ، يشيرون إلى ما فيه من غثٍّ وسمين، بحسب حكمهم. هذا الاقتراب من كلمة الله ترك، في قرائن عديدة، بالغ الأثر السّلبيّ على حياة الكنيسة. وصارت كنائس كثيرة في الغرب خالية من المصلّين، وانتهى بها الحال إلى أن عَرَضت بناياتها للبيع. وتحولّت بعضُها إلى ملاهي ليليّة وحانات! هذا ما سبق وتحدّث عن چون كالڤن حين قال: "ابعد الكلمة [الكتاب المقدّس] بعيدًا، فلن تجد الإيمان."[166] إن كان الكتاب المقدّس أفكار النّاس، فمن المنطقيّ جدًّا ألّا تحلو أفكاره لمجموعة أخرى من النّاس، وليس لزامًا عليهم أن ينصتوا إليه، ولا أن يعملوا بما يقول. فأقوالُه أقوالُ بشرٍ، على أيّة حال. يمكن أن نتعلّم منها، ويمكن أن نغضّ الطّرف عنها، ونسير كلٌّ في طريق.

ولكن إن كان الكتاب المقدّس كتاب الله، فليس للإنسان أن يجعل نفسه حكمًا عليه، بل تصير كلمة الله هي الحكم في كلّ شيء. وأمامها يقف الجميع خاضعين، حيث إنّ مصدرها إلهيّ، لا بشريّ. إنّ كان الكتاب المقدّس كتاب الله، يتبع أنّ لله الكلمة العليا في حياة الإنسان، ولكلمته سلطة يجب على الإنسان أن يخضع لها. إن كان أصل الكتاب المقدّس إلهيّ، فما تحدّث عنها الكتاب

[166] Calvin, *Inst.* III, II, 6.

المقدّس "مُلزِمٌ" للإنسان. فليكن الإنسان كاذبًا، والله صادقًا في كلّ ما قال في كلمته. وإن كان الكتاب المقدّس هو كلمة الله، فهذه الكلمة معصومة في "كلّ" ما ذكرت. الكتاب المقدّس لا يكذب، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه. هو تنفسات-الله، الخارجة منه—تعالى.[167] الكتب المقدّسة هي "كلمة الله،" وهي، لكونها منه وترجع إليه، في أصلها معصومة وخالية من الخطأ من كلّ وجه؛ وإذا كان مؤلّفها هو الحقّ الذي لا يكذب فإنّ الكتب المقدّسة، كلمته، هي بدورها أيضًا الحقّ الذي لا يكذب."[168] الكتاب المقدّس هو كلمة الله نفسه، الواصلة إلينا عبر أناس الله القدّيسين، "إنّها لا تزال تحتفظ بسلطانٍ مطلقٍ وبمصداقيّةٍ مطلقةٍ، إذًا فعصيانها أو عدم الإيمان بها يعدُّ خطية عظيمة ويترتّب عليه دينونة إلهيّة (1 كو 14: 37؛ إر 36: 29-31)."[169]

---

[167] G. C. Berkouwer, 139.

[168] إدوارد يونج، 56.

[169] واين جرودم، 37.

المراجع
المراجع العربيّة

باڤينك، هيرمان. **بين العقل والإيمان**. ج. 1، ترجمة عبد المسيح اسطفانوس. بيروت: مطبوعات الشّرق الأوسط، 1990.

ثيسن، هنري. **محاضرات في علم اللّاهوت النّظاميّ**، ترجمة هدى بهيج وسامي مورغان. القاهرة: مركز مورغان للنشر والإعلام، 2014.

جرودم، واين. **بماذا يفكّر الإنجيليّون**، 1. القاهرة: مطبوعات إيجلز، 2002.

حفان، مليكة. "من قضايا اللّفظ والمعنى بين اللّغويّين والبلاغيّين." في **ديوان العرب**، 16، مارس 2007، متاح على:
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=8242

حمادي، عادل هادي. "قضية اللّفظ والمعنى." في **الأستاذ**. عدد 201، 2012، (201-210).

سعيد، إبراهيم. **لماذا أؤمن؟** القاهرة: دار الثقافة، 1989.

صبرا، چورچ. **نؤمن ونعترف: كتاب العقائد للكنائس الإنجيليّة المُصْلَحة**. بيروت: كلّيّة اللّاهوت للشّرق الأدنى، 1990.

صموئيل، ماهر. "وحي الكتاب المقدّس." ج. 1، YouTube Video، 27 يونيو 2012، تمّ الاطّلاع عليه يوم 19 ديسمبر 2016، متاح على:
https://www.youtube.com/watch?v=9G2s2CKtlyo
الفغاليّ، بولس وآخرون، **العهد الجديد: ترجمة بين السّطور يونانيّ-عربيّ**. بيروت: الجامعة الأنطوانيّة، 2003.
كالفن، چون. **المسيحيّة الكتابيّة**، ترجمة عبد الكريم كيرلس. القاهرة: الرّابطة الإنجيليّة في الشّرق الأوسط، 1994.
مقار، إلياس. **إيماني**. القاهرة: دار الثّقافة، 1977.
يونج، إدوارد. **أصالة الكتاب المقدّس**، ترجمة إلياس مقار. القاهرة: دار الثّقافة، 1990.

المراجع الإنجليزيّة

Anderson, Stanley. "Verbal Inspiration Inductively Considered." in *Evangelicals and Inerrancy*. (13-21). Ed. Ronalnd Youngblood. Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1984.

Archer, James. "The Witness of the Bible to its Own." in *The Foundation of Biblical Authority*. (85-99). Ed. James

Montgomery Boice. Grand Rapids: Zondervan, 1978.

Augustine, *Letter 82.3*, NPNF, vol. 1, 350. Available at: https://www.ccel.org/ccel/schaff/npnf101.vii.1.LXXXII.htm

Bavinck, Herman. *Reformed Dogmatics: Prolegomena*, vol. 1. Trans. John Vriend. Grand Rapids: Baker Academics, 2003.

Berkhof, Louis. *Principles of Biblical Interpretation: Sacred Hermeneutics*. Grand Rapids: Baker Book House, 1950.

Berkouwer, G. C. *Holy Scripture*. Grand Rapids: W.B. Eerdmans Pub. Co, 1975.

Boettner, Loraine. *Studies in Theology.* Grand Rapids: Eerdmans, 1947.

Calvin, John. *Commentaries on the Epistles of Paul the Apostle to the Corinthians*, vol. I. Trans. John Pringle. Grand Rapids: CCEL, 2005. Available at: https://www.ccel.org/ccel/calvin/calcom39.ix.iv.html.

_____. *Inst.* I, VII, 4.

Custer, Stewart. *Does Inspiration Demand Inerrancy?: A Study of the Biblical Doctrine of Inspiration in the Light of Inerrancy.* Nutley, N.J.: Craig Press, 1968.

Erickson, Millard. *Christian Theology*. Grand Rapids: Baker Book House, 1998.

Ferguson, Sinclair "How does the Bible Look at Itself?" in *Inerrancy and Hermeneutic*. (47-68). Ed. Harvie Conn. Grand Rapids: Baker Book House, 1988.

Frame, John. *Systematic Theology.* Phillipsburg: Presbyterian and Reformed Publishing, 2013.

Geisler, Norman and William Nox. *From God to Us.* Chicago: Moody Press, 1987.

Gerhard, Kittel, et al. *Theological Dictionary of the New Testament.* Grand Rapids: W.B. Eerdmans, 1985.

Gerstner, John H. "The Churches Doctrine of Biblical Inspiration." in *The Foundation of Biblical Authority*. (23-60) Ed. James Montgomery Boice. Grand Rapids: Zondervan, 1978.

Hodge, A. A. *Evangelical Theology.* Edinburgh: The Banner of Truth Trust, 1990.

Hodge, Archibald and Benjamin B. Warfield. *Inspiration.* Grand Rapids: Baker Book House, 1979.

Hodge, Charles. *Systematic Theology*. Grand Rapids: Eerdmans, 1952.

Kantzer, Kenneth. "Evangelicals and the Doctrine of Inerrancy." in *The Foundation of Biblical Authority.* (147-156). Ed. James Montgomery Boice. Grand Rapids: Zondervan, 1978.

Lloyd-Jones, D. Martyn. *Authority.* Chicago: Inter-varsity Press, 1958.

Martin, Hugh and Robert Bremner. *Inspiration of Scripture.* Inverness, Scotland: The Publications Committee of the Free Presbyterian Church of Scotland, 1964.

McGrath, Alister. *Christian Theology: An Introduction.* Oxford: Blackwell Publishers, 1997.

Michaels, J. Ramsey. "Inerrancy or Verbal Inspiration? An Evangelical Dilemma." in *Inerrancy and Common*

Sense. (49-70). Ed. Roger Nicole, et al. Grand Rapids: Baker Book House, 1980.

Nicole, Roger. "The Nature of Inerrancy," in *Inerrancy and Common Sense.* (71-95). Ed. Roger Nicole, et al. Grand Rapids: Baker Book House, 1980.

Pache, René. *The Inspiration and Authority of Scripture*. Trans. Helen Needham. Chicago: Moody Press, 1969.

Packer, J. I. "Encountering Present-Day Views of Scripture." in *The Foundation of Biblical Authority.* (61-82). Ed. James Montgomery Boice. Grand Rapids: Zondervan, 1978.

_____. *Concise Theology.* Wheaton: Tyndale House Publishers, Inc. 1993.

_____. *Truth and Power: The Place of Scripture in the Christian Life*. Wheaton: Harold Shaw Publishers, 1996.

Pieters, Albertus. *Can We Trust Bible History?* Grand Rapids: Society for Reformed Publication, 1954.

Pinnock, Clark. *A Defense of Biblical Infallibility*. Philadelphia: Presbyterian and Reformed Pub. Co, 1967.

Preus, Robert. "Notes on the Inerrancy of Scripture." in *Evangelicals and Inerrancy*. (91-104). Ed. Ronalnd Youngblood. Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1984.

_____. "The View of the Bible Held by the Church: The Early Church through Luther." in *Inerrancy*. (357-382). Ed. Norman Geisler. Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1979.

Sproul, R. C. "Biblical Interpretation and the Analogy of Faith" in *Inerrancy and Common Sense.* (119-135). Ed. Roger Nicole, et al. Grand Rapids: Baker Book House, 1980.

_____. "Inspiration and Authority of Scriptures." Youtube Video, 9th of Sep. 2012, accessed 9th of Sep. 2016, available at: https://www.youtube.com/watch?v=IDCc9YbYufQ

_____. "The Internal Testimony of the Holy Spirit." in *Inerrancy*. (337-354). Ed. Norman Geisler. Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1979.

Stott, John R. W., and Timothy Dudley-Smith. *Authentic Christianity*. Downers Grove, Ill: InterVarsity Press, 1995.

Stuart, Douglas. "Inerrancy and Textual Criticism." in *Inerrancy and Common Sense.* (97-117). Ed. Roger Nicole, et al. Grand Rapids: Baker Book House, 1980.

ملحق

محور الوحي الإلهيّ

القسّ ڤيكتور عطاالله

محور الوحي الإلهيّ

كما رأينا في هذا الكتاب، فقد شاء الله في غنى رحمته ونعمته أن يكشف لنا عن الأمور التي يجب أن نعرفها عنه تعالى، وعن أمور أخرى يطلب منّا أن نعيش بموجبها، حسب مشيئته الطّاهرة. سجّل أربعون من رجال الله عبر مئات من السّنين ما شاء العليّ أن يكشف للبشر. فوضعوا السّتة والسّتين جزءًا التي يشملها الكتاب المقدّس. ومع اختلاف شخصيّاتهم، ودرجات ثقافتهم، ونوعيّة بيئاتهم، وظروف عصورهم، إلّا أنّهم شاركوا جميعًا في نقل كلمة الله بكلمات ولغات ومفاهيم البشر. ولم يكن هناك داعٍ للاصطناع والتّكلف، بل كتبوا ما كتبوه وهم على وعيٍ تامٍّ بإرشاد الله وقيادة روحه القدّوس لأفكارهم ولأيديهم ولأدوات تسجيلهم. لقد حرسهم الرّوح القدس حتّى لا يقولوا أو يكتبوا إلّا ما هو من الله فقط.

ومع أنّ الوحي تنوّع من حيث الحجم والموضوع، لكنّ مساره الإلهيّ كان دائمًا يصبُّ في اتّجاه واحدٍ نحو دائرة واسعة شاملة، أو نحو مخزن جميل شاهق البنيان في نهاية الطّريق. فالكتب المقدّسة بطرق متشعبة ومتنوّعة تُشبه هرمًا مبنّيًّا موجهًا في قمّته للمصطفى الأعظم، المسيح المخلّص. إنّها تُشبه هرمًا مبنّيًّا من حجارة متعدّدة الأحجام لكلّ منها مكانه ودوره في تكملة البناء، حتّى إنّه في نهاية الطّريق تتّضح المعالم ويظهر البناء متكاملًا. قبل

اكتمال بناء ذلك الصّرح كان معلومًا أنّ الهدف من تلك الأحجار المتراصّة والمتجمّعة هو تحقيق المخطّط الإلهيّ.

يبدأ الوحي المبارك بحقيقة مطلقة الأهمّيّة وهي أنّ العالم المنظور من سماوات وأرض خُلِق قبل الإنسان، ولكن خُلِق لأجل الإنسان. فالجنس البشريّ هو هدف كلّ الخليقة التي خلقت لتتناسب مع حاجته كمخلوقٍ وحيدٍ قصد له الله أن يتمتّع بعلاقة ودٍ وقربٍ معه كالخالق القدّوس والصّالح المقتدر. وانفرد الإنسان بتلك العلاقة كما تميّز عن باقي المخلوقات في الأسلوب المباشر الذي خلقه العليّ به، وكذلك بالسّلطة الكاملة على كلّ المخلوقات الأخرى.

ولكن، للأسف، سقط الإنسان في معصية الله، بغواية الشّيطان. ويتحدّث الكتاب المقدّس عن تحقيق النّصرة الأكيدة على محاولات الشّيطان في التّملّك على الجنس البشريّ. هذه النّصرة تطلّبت خطوات متتالية مرسومة بحكمةٍ إلهيّةٍ بارعةٍ، وتقدّمت بقدرةٍ إلهيّةٍ خارقةٍ عكست في نفس الوقت الرّحمة الإلهيّة المتناهية والعدل الإلهيّ الثابت. كلّ ذلك انطلق من اللّحظة الأولى لسقوط الإنسان بوعدٍ واثقٍ موجّهٍ للشّيطان بالذّات بأنّ جهده لتعطيل المخطّط الإلهيّ المبارك فاشلٌ، لا محالة. وسوف ينتصر على شرّه إنسانٌ جديدٌ يأتي جسديًّا من نسل عذراءٍ، بنفسٍ بشريّةٍ لا صلة لها بأنفس البشر الآخرين السّاقطة والفاسدة، والتي ورثها

الجميع من أبي كلّ البشر، آدم. واضحٌ أنّ صاحب النّصرة والغلبة هو آدم الجديد الذي يتمتّع بنفس السّمات البشريّة التي تمتّع بها آدم الأوّل، قبل أن يُفسد نفسَه البشريّة بانصياعه لصوت إبليس.

لقد تطلّب الوعد الإلهيّ بدحر جهود الشّيطان مجيء آدم الثّاني، إذن. هذا تطلّب بدوره تقدّم الإعلان الإلهيّ في الوحي المقدّس بشكلٍ تدريجيٍّ واضح حتّى تدرك البشريّة فداحة فسادها وحاجتها الماسّة لمبادرة إلهيّة تفتديها وتنقذها من سقوطها، وتعيد لها صلاحها وعلاقة القرب والودّ مع الباري. لذا، جاء آدم الجديد المنقذ في قرينةٍ وبيئةٍ بشريّةٍ تتوق إليه وتنتظره بسبب شهادة الوحي قديمًا. لقد انتظر النّاس آدم الجديد الموعود لهزيمة إبليس الذي تجسّد في حيّة جنّة عدن القديمة (كتاب التّكوين التّوراتيّ 3: 15).

البيئة البشريّة المنشودة بدأت بدعوة إلهيّة كريمة لأبرام العبرانيّ الذي ترك أهله وأرضه وأطاع صوت الرّبّ، والتّقدم بخطى متدرّجة نحو تأسيس أمّة تستودع فيها خطوات تحقيق الوعد بقدوم المصطفي الإلهيّ الأعظم، آدم الجديد. ولكن مرّة أخرى سعى إبليس لتعطيل المخطّط الرّبّانيّ الخلاصيّ للبشريّة. فعلى مرّ الأجيال المتلاحقة، استخدم الشّيطان طبيعة السّقوط في العنصر الإنسانيّ لتحريف مسار المخطّط الإلهيّ نحو بشريّة منتقاة ونقيّة وطاهرة في المسيح الموعود. لذا، فشل العبرانيّون، نسل إبراهيم، مرارًا وتكرارًا، في طاعة الدّعوة الإلهيّة للتّقدّم بخطى ثابتة نحو

قدوم المخلّص الإلهيّ الموعود. لكنّ النّعمة الإلهيّة السّخيّة، التي لا تُهزم، أرجعتهم كلّ مرّة عن ضلالهم، وسعيهم وراء الأهواء الشّيطانيّة؛ ذلك أنّ العليّ احتفظ لنفسه، بين بني إسرائيل ببقيّةٍ تقيّةٍ أمينةٍ تدخّر المضمون والتّراث النّبويّ، وتسلّمه لبقيّةٍ مثيلتها مُطيعة لصوت النّبوة الصّادقة، منتظرةً قدوم آدم الثّاني، الذي يجمع في نفسه وفي عمله الخلاصيّ ما يحقّق مطالب العدالة الإلهيّة المحقّة بعقاب البشر العصاة.

هنا يجب ألّا تخوننا الذّاكرة، أو ننخدع بغواية الشّيطان وننجرّ وراء الفكر العنصريّ الذي يتناسى أمرين أساسيّين في مضمون التّسعة والثّلاثين جزءًا في التّوراة والأنبياء (المعروفة بالعهد القديم). الأمر الأوّل هو أنّ الرّبّ الإله نادى إبراهيم فسمع إبراهيم لصوت الله، فوعده الله بالبركة ليس لمجرّد تأسيس أمّةٍ عبرانيّةٍ أرضيّةٍ، كغايةٍ في حدّ ذاتها، بل كوسيلةٍ للغاية الأسمى ألا وهي "بركة جميع قبائل الأرض" (تكوين 12: 1-3). إنّ القصد الإلهيّ الأصيل والأصليّ من وجود أمّة إسرائيل عبر النّسل الإبراهيميّ الأرضيّ كان التّحضير للنّسل الإبراهيميّ السّماوي، عيسى المسيح، الذي يبارك البشريّة جمعاء، ويحقّق فيها الخليقة البشريّة أو الآدميّة الجديدة.

والأمر الثّاني الذي لا يجب أن ننساه هو أنّ الخدمة النبويّة التّحضيريّة اكتملت وأُنجزت في الرّسالة الختاميّة للنّبيّ

يحيى (يوحنّا المعمدان) الذي شكّل خاتمةَ الحقبة النّبويّة للعهد القديم (التّوراة والأنبياء). اختلفت رسالة يحيى النّبويّة عن كلّ رسالةٍ نبويّةٍ قانونيّةٍ سبقته في جانب مهمٍّ للغاية. لقد رسمت رسالة مَنْ سبقوه من الأنبياء بأمانةٍ بالغةٍ الخطوط المستقبليّة للتّعريف بالمسيح الموعود والتّحضير لقدومه، لكنّ رسالة يحيى شملت ليس فقط تحضير الجيل العبرانيّ الأخير للتّعرف على المصطفى الإلهيّ، بل التّأكيد بشكلٍ شخصيٍّ ومباشرٍ على أنّ عيسى المسيح هو ذلك الشّخص الموعود بالذّات. ففي الوقت المناسب إذ رأى المسيح المدعو "يسوع" (عيسى)، أشار إليه بوضوحٍ أمام الجموع التي تبعته وبصوتٍ عالٍ وواضحٍ قال: "هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يو 1: 29). هكذا نرى النّبي الخاتم للحقبة النّبويّة في الوحي الشّريف يعلن لأقرانه اليهود بشكلٍ قاطعٍ أنّ الموعود لإبراهيم، الموعود لبركة جميع البشريّة، هو هذا المسيح الذي يحمل على نفسه البشريّة المعصومة خطية ليس اليهود فحسب، بل كلّ مؤمنٍ من كلّ لونٍ وعنصرٍ بشريٍّ.

إنّ مجيء وحياة وخدمة وآلام وموت وقيامة وصعود عيسى المسيح، المصطفى السّماويّ، وجلوسه على عرشه السّماويّ، كلّ ذلك كمّل كلّ النّبوات والرّسالات النّبويّة السّماويّة المتضمّنة في كتب الوحي. ولم تعد هناك حاجة لخدمةٍ نبويّةٍ أخرى. لهذا برزت وظيفة جديدة مكمّلة لها، ألا وهي الوظيفة الرّسوليّة.

هذه الوظيفة الجديدة أسّسها المسيح الذي حقّق كلّ مضامين الوظيفة النّبويّة. عيسى المسيح إذن هو الذي أكمل الوظيفة النّبويّة التي ختمها يحيى المعمدان، وهو أيضًا الذي أسّس الوظيفة الرّسوليّة (رسالة العبرانيّين الإنجيليّة 1: 3)، وانتخب لها الحواريّين (متّى 10: 2؛ مر 3: 14).

لقد اختّصّت وظيفة "رسول" بالتّأكيد والتّوثيق على تحقيق عيسى المسيح لجميع مواصفات ومهام المصطفى الإلهيّ كما جاء في سجلات الوحي النّبويّة. وبالتّالي، لم يعد عيسى المسيح بحاجةٍ لرسالةٍ نبويّة تشير إليه، بل لمهمّة رسوليّة تخبر بأنّه هو آدم الثّاني والأخير، الموعود به والذي تكلّم بنفسه الكلمة الإلهيّة النبويّة والرّسوليّة القاطعة والجازمة الختامية (عب 1: 1).

حضّرت إذن كتب العهد القديم لمجيء المصطفى الإلهيّ، وجهّزت له التّربة الخصبة للقيام بمهمته. وأخبرنا الإنجيل بذلك الحدث التّاريخيّ بالذّات، مؤكّدًا لنا أنّ هذا هو محطّ أنظار كلّ الأجيال، بل ومقصد كلّ التّاريخ البشريّ. قال العهد القديم: "انتظروا ذلك." ويقول العهد الجديد: "هذا هو ذلك الذي كنتم تنتظروه، ها هو يُكمل كلّ شيءٍ. ها هو الآن قد جاء، وأكمل مهمّته بكلّ نجاحٍ. لقد أتمّ كلّ شيءٍ في مخطّط الوحي الإلهيّ.